جامعة محمد خيضر بسكرة
كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية
قسم العلوم الإجتماعية

مذكرة ماستر

العلوم الاجتماعية
فلسفة
فلسفة عامة

رقم: أدخل رقم تسلسل المذكرة

إعداد الطالب:
إكرام عتروس

يوم: 19/06/2023

الأزمة القيمية في فلسفة ما بعد الحداثة "جيل ليبوفتسكي "أنموذجا

لجنة المناقشة:

د: بن سليمان جمال الدين	أ مح أ	جامعة بسكرة	مشرفا و مقررا
د: حمادي النو ي	أ مح أ	جامعة بسكرة	رئيسا
د: تتيات علي	أ مح أ	جامعة بسكرة	مناقشا

السنة الجامعية : 2022 -2023

إهداء

أهدي ثمرة هذا العمل مني إلى من قال فيهم الحق تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ الإسراء الآية24

إلى **أمي** و**أبي** أطال الله في عمرهما.

إلى الروح الطاهرة عمي "**عبد الحليم لعوامري**" رحمه الله وطيب ثراه.

وإلى سندي في الحياة **إخوتي:** صبرين، دلال، هجيرة، وحسيبة.

إلى **الزملاء والإخوة** الذين شاركوني مشواري الجامعي: عقبة، عبد الرشيد، بوبكر، كمال.

مريم وصفاء

شكر و عرفان

الحمد والشكر لله عز وجل أولا الذي وفقني لإتمام هذا العمل وأرجو أن ينال رضاه .

أتوجه بجزيل الشكر والإمتنان إلى أستاذي المشرف" **جمال الدين بن سليمان**"، على طيب المعاملة طيلة سنوات المسار الجامعي من بدايته، وما قدمه لي من توجيهات وإرشادات خلال فترة الإشراف إضافة إلى حرصه الشديد على التهميش والتوثيق الصحيح، والذي كان له الفضل في إخراج هذا العمل.

كما أتقدم بخالص بالشكر **إلى جميع أساتذة شعبة الفلسفة** وأخص بالذكر الأستاذ" **لزهر عقيبي**" والأستاذ "**حمدي لكحل**" لما منحاه لي من تشجيع وتحفيز للإستمرار والإجتهاد.

فـــهـــرس

المحتويات

الموضوع	الصفحة
الإهداء	–
الشكر والعرفان	–
فهرس المحتويات	–
مقدمة	أ–د
الفصل الأول: من الحداثة إلى ما بعد الحداثة	13–41
المبحث الأول: جنيالوجيا الحداثة	14
1–السياق المرجعي للحداثة	15
2–مفهوم الحداثة	20
3–أسس الحداثة	24
المبحث الثاني: ما بعد الحداثة كمرحلة جديدة	28
1–مفهوم ما بعد الحداثة	29
2–مرتكزات ما بعد الحداثة	31
3–علاقة الحداثة بما بعد الحداثة	37
الفصل الثاني: التطور الفكري لجيل ليبوفتسكي	42–60
المبحث الأول: قراءة في حياة وفكر جيل ليبوفتسكي	43
1–حياته	44
2–إرهاصات فكره	46
3–انتاجاته الفكرية والفلسفية	50
المبحث الثاني: موقف ليبوفتسكي من الحداثة وما بعد الحداثة	56
1–الحداثة من وجهة نظر ليبوفتسكي	57

2- ما بعد الحداثة رؤية نقدية	58
الفصل الثالث: من معرفة الحداثة إلى مشكلة الحداثة المفرطة	88-62
المبحث الأول: الفردية كباعث للحداثة المفرطة	63
1-مفهوم الحداثة المفرطة	64
2-مفهوم الفردانية	68
المبحث الثاني: مظاهر الحداثة المفرطة	74
1-أزمة الدين والأخلاق	75
2-الإستهلاك الجامح	79
3-الإعلام المعاصر	83
4-المرأة الثالثة	85
خاتمة	91-90
قائمة المصادر والمراجع	99-93

مقـــــدمـة

مقـــدمـــة:

إن التأصيل التاريخي والفلسفي للحداثة منذ بداياتها الأولى وما تمخض عنها من نتائج بعد ذلك، يفضي بالقول أن المجتمعات الغربية المعاصرة تشهد أزمة قيمية، هذه الأزمة كان من شأنها انحراف المشروع الحداثي عن مساره المنشود، وبالعودة إلى القيم والمبادئ التي قام عليها المشروع الحداثي كالعقل بمثابة مبدأ كوني، الفردانية، التمركز حول الذات؛ نجد أن استفحال هذه الأزمة راجع إلى انحلال هاته المبادئ وتلاشيها، هذا الانحلال الذي عرفه المشروع الحداثي نتج عنه جملة من التحولات على مستوى الفرد والمجتمع، سواء كان في السلوكيات أو التصورات أو حتى أنماط العيش، كل هاته التحولات والتفكك الذي أصاب المنظومة القيمية للمجتمعات الغربية شكل هوية إنسان ما بعد الحداثة، ويمثل الفيلسوف وعالم الاجتماع الفرنسي "**جيل ليبوفتسكي Gilles Lipovetsky"** (1944-..)من بين المشتغلين والمهتمين بمجتمعات ما بعد الحداثة من خلال نقده الأكسيولوجي لها وما طرحه من أفكار توضح هذا الارتحال القيمي الذي حل بها، وتم التأكيد على هذا الارتحال عبر ظهور نموذج مفرط وغير معهود عن الحياة، يقترح إعادة صياغة الحداثة بشكل أكثر مرونة وكثافة وملائمة مع منطق العالم الحديث الذي تتحكم فيه الأسواق والسلع، وتعد مرحلة جديدة عرف فيها العالم الانتقال من الما بعد إلى الفرط أو ما أطلق عليها ليبوفتسكي الحداثة المفرطة.

وللوقوف على أهم النقاط التي عالج من خلالها ليبوفتسكي الأزمة القيمية كانت صياغة الإشكالية كالتالي: كيف كان تصور جيل للأزمة القيمية في مجتمعات مابعد الحداثة؟ وما قصد بالحداثة المفرطة؟

يمكن معالجة هذه الإشكالية من خلال الإجابة على الأسئلة التالية التي توضح النقاط الأساسية لموضوع البحث كما يلي: ما الذي تعنيه الحداثة وما بعد الحداثة؟ وهل يمكن إدراج الحداثة المفرطة في مقابل الحداثة؟ وإن كان كذلك فكيف أثرت على النسق الفكري والأخلاقي؟

منهج الدراسة

ومراعاة لمقتضيات البحث العلمي والأخذ بعين الاعتبار طبيعة هذا الموضوع، كان من الضروري إتباع المنهج التاريخي وذلك لتتبع مسار الحداثة ورصدها منذ نشأتها إلى غاية دخول مرحلة ما بعد الحداثة في الفترة الراهنة والمنهج التحليلي لتفكيك وتحليل أفكار ليبوفتسكي إزاء الفكر ما بعد الحداثي ومجتمعاته وما أصبح عليه.

أسباب اختيار الموضوع

الحقيقة أن اختيارنا للموضوع بشكل عام وللمفكر بشكل خاص لم يكن اعتباطيا قط، فمن الأسباب الموضوعية التي قادتنا إلى اختياره هذا الموضوع هي أهميته من الناحية العملية والواقعية، كونه يطرح قضايا راهنة تعايشها المجتمعات المعاصرة ولم تحظ بالدراسة الكافية من قبل الباحثين في حدود اطلاعي، خاصة مع ما جاء به ليبوفتسكي من مقاربات نقدية لمجتمعات ما بعد الحداثة، التي اتسمت بالجدة في الطرح والواقعية في التحليل والتنظير.

ثم الأسباب الذاتية التي دائما تعود إلى شخص الباحث، فأحد الأسباب التي دفعت بي إلى اختيار الموضوع كون الأزمة القيمية موضوع إنساني معاصر، يفرض على الأفراد هويات متجددة دائما تستثيرها التحديثات والمستجدات الحاصلة في العالم، هويات تعتريها عوارض الإهمال والإغفال لكل ما هو مقدس، حقيقي أو حتى ذا معنى.

أهداف الدراسة

تكمن أهداف هذه الدراسة في محاولة تسليط الضوء على تحليلات الفيلسوف جيل ليبوفتسكي لأزمة القيم من زاوية جديدة، خاصة وأن اسم ليبوفتسكي ظل غائبا في حقل الأبحاث الفلسفية المعاصرة مقارنة بفلاسفة معاصرين أخرين عالجوا هذا المشكل، أو حتى قاموا بالإشارة إليه ذلك من خلال تحليلاته الواقعية لمأزق الحداثة الغربية خاصة المجتمعات ما بعد الحداثية

للكشف عن التناقضات الحاصلة داخلها وتبيان سلبياتها، حيث أن الأزمة القيمية التي تعرض لها المجتمع ما بعد الحداثي لم تقتصر فقط على المجال التداولي الغربي، و إنما أخذت أبعادا في بيئات أخرى وبالرجوع إلى ما نعايشه اليوم من وقائع اقتصادية واجتماعية نجد أنها تعكس حالة من الفراغ والهشاشة التي أصبح عليها إنسان ما بعد الحداثة، من خلال تدجين الرأسمالية له وتحويله إلى ذات استهلاكية ومثيرة بذلك رغباته مغيبة لا واعيه، ورغم التطور التي حققته لا توجد أي مؤشرات حقيقية للسعادة التي وعدت بها الحداثة الإنسان.

الصعوبات

أما عن الصعوبات هي فقط بمثابة تحديات للباحث لمواصلة إنجاز موضوعه وتحفيزه لاستكماله بحثه، فما اعترضني أثناء إنجازي لبحثي هذا يتعلق بصعوبة تحليل أفكار ليبوفتسكي لرمزيتها، وتعقيدها في غالب الأحيان، وقلة الباحثين الذين تعرضوا لها بالشرح وكذا صعوبة الإحاطة بأهم الأفكار، التي تتضح من خلالها معالم الأزمة القيمية عند ليبوفتسكي وإدراجها ضمن عناصر في الخطة.

خطة البحث

من خلال تقديم موجز عن موضوع البحث قد قسمنا البحث إلى ثلاثة فصول تعالج موضوعا الفصل الأول بعنوان "من الحداثة إلى ما بعد الحداثة "تضمن هذا الفصل مبحثين، حاولنا في المبحث الأول التركيز على جنيالوجيا الحداثة بداية بالسياق المرجعي لنشأتها إلى مفهومها ومن ثمة إلى المبادئ التي تأسس عليها المشروع الحداثي، أما فيما يخص المبحث الثاني، فقد اعتمدناه للإجابة على أسئلة منها هل ما بعد الحداثة استمرار للحداثة؟ أما الثاني بعنوان "ما بعد الحداثة كمرحلة جديدة " تناولنا في المطلب الأول مفهوم ما بعد الحداثة وفي المطلب الثاني المرتكزات الأساسية لما بعد الحداثة وختمنا المبحث بمطلب ثالث وأخير يوضح العلاقة بين الحداثة وما بعد الحداثة، الفصل الثاني كان للتعريف بالفيلسوف جيل ليبوفتسكي

ورصد التطور الفكري للفيلسوف، فجعلنا الفصل على مبحثين المبحث الأول توسم بعنوان "قراءة في حياة وفكر ليبوفتسكي" توزع هذا المبحث على ثلاث مطالب من حياته، إلى الفلاسفة الذين قرأ لهم وتأثر بأفكارهم، نهاية لعرض أهم إنتاجاته الفكرية والفلسفية، أما المبحث الثاني قد ذهبنا فيه إلى عرض موقف ليبوفتسكي من الحداثة وما بعد الحداثة على مطلبين.

وختاما ووصولا لأهم نقطة في البحث تتضح من خلالها ملامح موضوع بحثنا بشكل رئيسي هو الفصل الثالث والأخير، الذي كان بعنوان من معرفة الحداثة إلى مشكلة الحداثة المفرطة، قسمنا هذا الفصل إلى مبحثين أساسين كل منهما يحتوي موضوعا، المبحث الأول الفردية كباعث للحداثة المفرطة، يندرج ضمن هذا المبحث مطلبين يركزان على مفهوم الحداثة المفرطة، ومفهوم الفردانية، أما الثاني فقد تعرضنا لأبرز مظاهر الحداثة المفرطة من منظور ليبوفتسكي ووزعناه على عدة مطالب تظهر تجليات الحداثة المفرطة في الواقع كأزمة الدين والأخلاق، الاستهلاك الجامح الإعلام المعاصر، والمرأة ،ثم في الأخير إلى خاتمة تنهي هذا الموضوع بحوصلة تلخص محتوى الموضوع ككل وتحيط به.

الفصل الأول

المبحث الأول: جـــنـــيـــالـــوجـــيـــا الـــحـــداثـــة

- المطلب الأول: الســيــاق الــمــرجــعــي لــلــحــداثــة
- المطلب الثاني: مــفــهــوم الحــداثـــة
- المطلب الثالث: أســس الــحــداثــة

المبحث الأول: جيانولوجيا الحداثة

في الغالب ما تؤسس الأديان والمذاهب الفكرية كافة لفكرة الخلاص الإنساني من كل ما يصارعه ويكابده الإنسان من معاناة وحالة الأمن، والخوف لتنقله من واقعه إلى واقع أكثر سعادة، رخاء، وإنسانية فقد تمركز تاريخ الفكر الإنساني حول بذل الجهد لإفراز الحرية من الأصفاد الدينية والسياسية التي قيدت الإنسان.

بما في ذلك نجد الحداثة مشروعا فكريا ينشد التغيير في الأفكار، والمفاهيم، وتجاوز الثوابت، وكل ما هو قديم ومألوف وسائد، وذلك بإعلان العقل لثورته وتبجيل الإنسان وتمجيد فرديته، فالحداثة قد مزقت الصورة الكلاسيكية عن العالم المقدس، الذي تحكمه الإرادة الإلهية والسلطات على أشكالها و وسائلها، لتحل محله العقلنة وتحديد الذات الفردية، ومن ثمة فلا سلطة تعلو فوق سلطة الإنسان وإرادته الحرة، ولا شك أن الحداثة كأي مشروع فكري كان له ما يصاحبه من مجموع التحولات التي تسبقه قبيل الإعلان عن نفسه كوجود فعلي وحقيقي، ونجد لهاته التحولات حضورا في المشروع الحداثي فهو بدوره أيضا قد شهد مجموعة من التحولات والأحداث مهدت لظهوره.

المطلب الأول/ السياق المرجعي للحداثة:

1 الإصلاح الديني: رام الإصلاح الديني إلى عتق الإنسان وفك رقبته من أغلال الكنيسة ونزع السلطة من أيدي رجال الكنيسة، التي احتكرت تأويل النص الديني ونصبت نفسها وسيطا في علاقة الإنسان بربه، وفرضت عليه الخضوع لبنودها قسرا وقلصت من مساحة حريته بمنعها لكل أشكال الفكر والتفكير، ليأتي تيار الإصلاح الديني في أوروبا مع عدة مصلحين أولهم الراهب و الفيلسوف الألماني "مارتن لوثر Martin Luther "(1483_1546)الذي يعتبر رائد هذا الإصلاح الإنجيلي الذي ظهر في أوائل القرن السادس عشر في أوروبا، فقد رفض لوثر احتكار الكنيسة للنص الديني والإساءة في حق الدين المسيحي، من خلال ممارستهم المشينة وبذلك الترويج لصورة مظلمة عن الدين، ومن بينها الوساطة التي زعمها رجال الدين بين الفرد وربه مستغلين بذلك ضعفه وخوفه، وهاته الوساطة التي هي مجرد وساطة زائفة، ومظللة ابتدعها القساوسة ليتمادوا أكثر في المتاجرة بالدين، وغير هذا نجد أيضا صكوك الغفران التي تصور للفرد المسيحي ذلك الوقت على أنها السبيل الوحيد للخلاص من الخطايا، والحصول على مغفرة من الرب، فعمل لوثر على ردع هاته الأفعال وكل صور الاستغلال التي شرعتها الكنيسة و رجالها لأنفسهم دون وجه حق، وتنقية وتخليص ذهنية الأفراد من هذا التزييف الذي يمارس باسم الدين، بهدف إعادة أشكلة وتصحيح الدين المسيحي وبعثه، من جديد بصورة أصدق من التي كان عليها في عصور الظلام التي تغطيها الأغاليط والتصورات الخاطئة عن الدين المروج لها من قبل رجال الدين آنذاك. [1]

كانت التعاليم اللوثرية كلها ضد السلطة البابوية وملغية لها، والمدافع الأول عن الكتاب المقدس بجعله السلطة الوحيدة التي تصدر عنها كل معاني الإيمان والعبادة، بمنأى عن أي

[1] سفيان البراق: "ملامح الحداثة الأوروبية: الإصلاح الديني والاكتشافات العلمية كنموذجين، "عدد3، (سبتمبر 2022)، ص ص57-58.

وساطة خارجية إذ يكون فيها الفرد وحيدا في الحضرة الإلهية، ولا مانح للخلاص والطهارة سوى الله.

وكانت ترجمة الكتاب المقدس من لغته الأصلية التي هي العبرية واليونانية، إلى اللغة الألمانية ذلك الوقت ليصبح متاحا للجميع، خطوة فعلية نحو مشروعه الإصلاحي فقد ساهمت هاته الحركة التي قام بها لوثر في سيرورة التاريخ بإبعاد كل الأفكار والتفسيرات الخرافية واللاهوتية عن العالم[1].

لاقت بعد ذلك أفكار لوثر وحركته الإصلاحية ضد الكنيسة وممارستها رواجا وانتشارا واسعا في الأوساط الغربية، خاصة بعدما تعرض له لوثر من رفض، وحرمان من الكنيسة، ثم الطرد، من قبل القيمين عليها، وظهر ما يسمى الحركة البروستانتية التي تعني "**حركة المحتجين**" اتخذت هذه الحركة من تعاليم الإنجيل وحده المنطلق الأول للإيمان، بعيدا عن كل الأفكار التقليدية ثم تغيرت فيما بعد التسمية إلى "**الحركة الإنجيلية**"[2].

2النهضة العلمية: عرفت أوروبا في هذه المرحلة انتقالية مفصلية، حددت ما بين القرن الرابع عشر ميلادي إلى القرن السابع عشر، لعبت فيها الاكتشافات العلمية، والعلوم الحديثة، دورا في تهديم الأيديولوجيات الوسيطية والتضييق الذي عاشه جل العلماء والمفكرين، ومن أهمها الإسهام الجوهري والإلهام الذي أضافه العالم البولندي "نيكولاس كوبرنيكوسNicolaus Copernicus (1543- 1473) " أين فند فيه الزعم البطليمي بمركزية الأرض[3].

مثلت نظرية كوبرنيكوس Copernicus أول صراع فعلي بين اللاهوت والعلم، التي تنص على أن الشمس مركز المجموعة الشمسية، عكس ما كان متعارف عليه في نظرية بطليموس التقليدية، فطبقا لهاته الأخيرة فإن الأرض تمثل مركز الكون وباقي الكواكب كالشمس، والقمر،

[1] سفيان البراق: "مرجع سابق" ،ص57.

[2] سفيان البراق: "مرجع سابق"، ص ص58- 59.

[3] سفيان البراق: " مرجع سابق"، ص63.

والأجرام، تدور حولها بانتظام كلّ في فلكه الخاص، أما ما أتى به كوبرينوكوس[1] Copernicus قد أبطل تماما التصور البطليمي للكون، وتبعا لما جاء به فإن الأرض غير ثابتة ولها حركتان مرة كل يوم حول محورها وكذا مرة كل عام حول الشمس، وقد كتب كوبرينيكوس في هذا المقام مؤلفه حول هذه النظرية "**حركة الأفلاك السماوية**[2] "سنة 1543 م، والذي يعتبر الولادة الفعلية للعلم الحديث، والانقلاب ضد المنظومة الفلكية البطليمية التي كانت سائدة ذلك الوقت، ومنسجمة والعقيدة المسيحية والفلسفة الأرسطية، في القول بأن الدائرة هي أكمل الأشكال وأن حركة الأجرام السماوية حركة دائرية ما أيده في ذلك رجال الكنيسة[3].

فقد ضمن كوبرنيكوس في هذا المؤلف أولى النظريات العلمية في ميدان علم الفلك، التي وضعت اللبنات الأولى أيضا للكوسمولوجيا الجديدة التي أساسها، يفيد بمركزية الشمس بدلا عن الأرض وكان من شأن هاته النظرية التي أعلن عنها تغيير جميع المفاهيم العلمية، فنجد كوبرنيكوس قد أدرج جداول فلكية تميزت بالبساطة في إجراء الحسابات من الناحية الرياضية وأكثر ديناميكية من سابقتها التي عرفت بشيء من التعقيد واللاّدقّة في الحسابات، خاصة في حساب مواقع الأفلاك وتوقع الظواهر، فغالبا لا تتوافق الملاحظات الحسية مع نتائج الحسابات الفلكية فيها، ومن هذا المنطلق عمد كوبرنيك إلى تأسيس علم الفلك على الملاحظات الدقيقة والفروض البسيطة، التي رأى فيها الطريق الأسهل للوصول إلى الصواب فيما يتضح بقوله بمركزية الشمس، ودوران كوكب الأرض وباقي الكواكب والأفلاك الأخرى حولها، واعتمادا على مبدأ البساطة الذي أسس له في نظريته نقد كل الأطاريح المعقدة في ميدان علم الفلك التي تبنتها العقيدة المسيحية لمدة طويلة من الزمن، كالتفسير أو الرؤية الأصوب للوقائع الفلكية هذا التبسيط التي جاء به كوبرنيك ماجعله أسمى من النظام البطليمي[4].

---

[1] برتراند راسل: "الدين والعلم، تر: رمسيس عوض، دار الهلال، ص ص 16 -18.

[2] داود خليفة: "الثورة الكوسمولوجية في العصر الحديث "، دون عدد، دون سنة، ص2.

[3] نفس المرجع، ص2.

[4] نفس المرجع ص 3.

يمكن القول بأن النظرية التي صاغها كوبرنيك ليست مجرد فرض علمي وفقط، وإنما هي بمثابة انقلاب أنتج سلسة من الانقلابات في ميدان العلم الطبيعي[1] ضد كل ما هو رهين التفسيرات الخرافية والتقليدية، فقد أعقبت هاته النظرية العديد من التحولات والإنتاجات للعلوم الحديثة لعلماء أمثال كبلر، غاليلو Galileo Galilei (1564- 1642) ثم نيوتن وغيرهم كل هذا ما كان ليتحقق لولا النقلة النوعية التي أحدثتها النظرية الكوبرنيكية [2].

3 الثورة الفرنسية: تعتبر الثورة الفرنسية من إحدى الثورات الكبرى في تاريخ العالم، وذلك كونها لم تؤثر على فرنسا فحسب بل اجتاح صداها العالم الأوروبي ككل، اندلعت سنة 1789 م وامتدت إلى غاية1799 م، عرفت قبلها فرنسا فترة من الاضطرابات على المستوى الاجتماعي والسياسي نتيجة التزمّت والاضطهاد التي عاشته في ظل حكم لويس السادس عشر، والخسائر التي تعرضت لها الخزينة الملكية بسببه، وكان للثورة الفضل في الإطاحة بالنظام الملكي المطلق الذي حكم فرنسا طيلة تلك السنوات التي طافت، كما ظهر على إثرها ما يعرف بالجمهور اليساري الذي ناهض النظام الملكي آنذاك، وألغيت جّراؤه العديد من الامتيازات الدينية والأرستقراطية وكذا تحديد مصير الأفراد[3].

إفتتحت بذلك الثورة عصرا جديدا في التاريخ، رفع ما يعرف بمبادئ التنوير تجاوز به كل الأفكار التقليدية الأرستقراطية والدينية المتزمتة لتحل محلها العدالة الاجتماعية والحرية وحقوق الأفراد فبرزت خلال هذه الفترة العديد من النظريات الاجتماعية السياسية، التي تندد بالديموقراطية، الحرية، والمواطنة، ونجد من بينها نظرية العقد الاجتماعي للفيلسوف" جان جاك روسو Jean Jacques Rousseau " (1712_1778)، الذي يعتبر المنظر الأول للثورة الفرنسية، من خلال ما أورده من أفكار في هذه النظرية، وبالإضافة إلى روسو نلتمس التأثير الذي أحدثته

[1] داود خليفة:" مرجع سابق"، ص3.

[2] داود خليفة:"مرجع سابق"، ص3.

[3] عوض بلقاسم علي يونس:" دور فلاسفة التنوير في قيام الثورة الفرنسية" ، العدد17،(2017)،ص ص 2-4.

أفكار كل من،Voltaire "فولتير(1694-1778)" ،"مونتيسكيو Montesquieu (1689-1755)" ، خاصة في كتابه "روح الشرائع"، الذي يتضمن أهم الخطوط الرئيسية لفلسفته السياسية التي استوحت الثورة منها أفكارها .

عرض مونتيسكيو في هذا المؤلف أفكاره الإصلاحية السياسية، التي شرح من خلالها طبيعة الأنظمة السياسية ومؤسساتها الاجتماعية، وعلاقتها بالقوانين العامة، كما تطرق فيه إلى تأثير العوامل الطبيعية على شكل الأنظمة السياسية، هدف من خلال مقاربته السياسية هذه إلى محاولة بناء مجتمع سياسي وعادل لا تضييق فيه على الحريات الفردية ولا استغلال[1].

بالإضافة إلى إسهامات مونتيسيكيو التي ألهمت الثورة نجد هاته الأخيرة لا تخلو أيضا من أفكار فولتير، الذي يعد هو الأخر مصدر من مصادر الثورة الفرنسية كانت أكثر الأفكار التي ندد بها فولتير هي انتزاع صفة المطلقية عن الحاكم، وأن يترك المجال لحرية الاعتقاد والممارسة الدينية، كون الدين شأن يخص الفرد وحده ولا يحق للحاكم التدخل فيه وكذا تقييد صلاحيات السلطات المدنية التي يرى بأن سلطتها تتلخص فقط في المحافظة على الأمن وضمان السلام المدني لا غير[2].

سعى فولتير من خلال أفكاره هذه إلى محاولة صياغة نظام سياسي يقضي به على التعصب الديني ويولي فيه الدولة على الكنيسة، كي لا يقع الخلط بين الجانب المدني والسياسي، والجانب الديني كما أمن بضرورة فصل الدولة عن الكنيسة[3].

برزت أهمية هاته الثورة بشكل أساسي في جملة التحولات الاجتماعية، والسياسية، والفكرية، التي طرأت على فرنسا والعالم الأوربي أيضا، فمن خلال هاته التحولات النوعية التي أحدثتها عرف العالم عصرا جديدا تحررت فيه الإنسانية من أشكال الاستبداد سواء الديني، أو

[1] عوض بلقاسم علي يونس:مرجع سابق"، ص4.

[2] عوض بلقاسم علي يونس:" نفس المرجع، ص5.

[3] عوض بلقاسم علي يونس:"نفس المرجع "ص8.

السياسي، كما نجد لها دورا في تطور الأفكار الفلسفية إذ مثلت تطور نظرية الحق الطبيعي، بإبرازها لحقوق الإنسان فقد أخذ الحق إبان الثورة الفرنسية معنى مغايرا عما كان عليه من قبل.

المطلب الثاني/ مفهوم الحداثة:

إن الباحث في مفهوم الحداثة وما يعنيه المصطلح من دلالة ومعنى وحيد، تعترضه العديد من العوائق والصعوبات في تحديده كمعنى وحيد يشار به إليه، فهذا المصطلح الفكري قد تعددت فيه المفاهيم وتشعبت وذلك يرجع إلى شموليته التي يتميز بها جراء ظروف نشأته التي أحاطت به، والمقاربات الفكرية التي حاولت رصد هذا التشعب والتعدد ما جعله السؤال المتجدد الذي يرفض الخضوع لأي جواب يقبل التحديد و الاختزال، وفي هذا السياق سنحاول الوقوف على أهم النقاط الأساسية التي يمكن من خلالها استيعاب هذا المفهوم بشكل كامل من أول ظهور للمصطلح، إلى ما يحمله من دلالات لغوية ومن ثمة تكوين تصور عن مفهوم الحداثة [1].

قبل الولوج إلى التنقيب عن أول ظهور لمصطلح الحداثة ورصد أولى استعمالاته تاريخيا في الحقل المعرفي، ارتأينا قبل ذلك رفع الالتباس الذي يعتري المصطلح فيما يتداخل مع عدة مفاهيم أخرى، أبرزها التحديث وهل بالإمكان أن يدرج التحديث في مقابل الحداثة كمعنى أو دلالة أخرى لها[2].

1 بين الحداثة والتحديث:

غالبا ما يورد مصطلح التحديث في مقابل الحداثة دون رسم الحدود الفاصلة بين المصطلحين، ووجوب الفصل المنهجي بينهما ودون مراعاة المدلولات الفكرية لكل مصطلح وتحديداته الابستمولوجية، فالتحديث كمشروع إنساني يعبر عن دينامية تطورية تمس الجانب الاقتصادي بالدرجة الأولى ومحورها الأساسي هو الموارد البشرية وقد عرف السوسيولوجيان

[1] سعد بوترعة: "الحداثة مفهوم وظهور الدعوة لها في الفكر العربي المعاصر"، المدونة، العدد الأول، (جوان 2018)، ص394.

[2] ر.بودون وف.بوريكو: "المعجم النقدي لعلم الاجتماع"، تر: سليم حداد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، مصر،1986،ص149.

ريمون بودون وفرانسوا بوريكو في كتابهما "**المعجم النقدي للسوسيولوجيا**" مصطلح التحديث على أنه مجموعة من التغيرات المعقدة، التي تؤثر على جميع المجتمعات الإنسانية اعتبار من القرن السادس عشر وتحديدا في أوروبا، إلا أن هذا التعريف لا يزال يأخذ بعض الشيء طابع الحداثة ولم يتم فعليا الفصل بين المصطلحين، غير أن تصور مفهوم التحديث لم يتوقف على هذا التعريف فنجدهما مرة أخرى يختزلان التحديث ويعبران عنه في ثلاث مفاهيم أساسية وهي تعبئة تمايز، وعلمنة[1].

التعبئة: يعنى هذا التعبير بشكل أساسي بمستويين اقتصادي واجتماعي، فالاقتصادي مرتبط بعملية نقل الأموال وحركتها داخل المجتمع نفسه، وظهور الأسواق وتوسيع المبادلات وطرق تدبيرها والاستفادة منها، أما على الصعيد الاجتماعي فهو يتضح في سرعة انتشار المعلومات ورواجها في وسط ما مثل الكتب والصحف والإرسال الإذاعي والتلفزي[2].

التمايز: إستعمل هذا التعبير لوصف التحديث، وفي سياق هذا التعبير نجد أن شكل التمايز التي عرفته المجتمعات الأوروبية كان تمايزا عرقيا قائما على أساس الدين، والنسب، وإلى غيرها من التمايزات التي يغطيها التعصب، والعنصرية، وانطلاقا من هذا التمايز تتراتب الوظائف والأعمال إلا أن التمايز في المجتمعات الحديثة يأخذ بعدا أخرا عكس التمايز التقليدي المتعارف عليه سابقا، فيتم تمييز الأفراد وفقا لما يقدمونه من إسهامات ذات قيمة اجتماعية[3].

العلمنة: والمقصود بهذا التعبير هو الفصل المؤسساتي أو بين صلاحيات الدولة والكنيسة لوضع العلم والمعرفة الوضعية خارج الكنيسة.[4]

[1] ر.بودون وف.بوريكو: "مرجع سابق"، ص149.

[2] نفس المرجع "، ص150.

[3] "نفس المرجع"، ص151.

[4] "نفس المرجع"، ص152.

2 الدلالة اللغوية للحداثة:

ورد في لسان العرب عن ابن منظور في أصل مصطلح الحداثة، أنها تأتي في معنى الحدوث: نقيض القدمة والحديث: نقيض القديم، والحديث هو الجديد من الأشياء ومحدثات الأمور في الأحاديث النبوية والسنة هو ما لم يكن معروفا من قبل في كتاب أو سنة أو إجماع[1].

ويعني ذلك أن الحداثة استعملت عند العرب قديما للدلالة على الجدة نقيضا للقدم، وقد ورد أيضا في المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية: الحدثان، فقيل حدثان الشباب وحدثان الأمر بمعنى أول الشيء وبدايته وابتدائه[2].

بالإضافة إلى ذلك نجد في مقام أخر تستخدم لتوصيف الفترة الفتية من الشباب وبدايته فيقال: رجال أحداث السن وقوم حدثان، فالحداثة في اللسان العربي القديم على غير ماهي عليه الأن من معنى، فكانت تستخدم في سياقات ومقامات كثيرة ذلك خلافا للمقصود بلفظ الحداثة حاليا[3].

أما عن أولى استعمالات لمصطلح الحداثة في الفكر الغربي فهي مختلفة ومتباينة، لكن الأرجح منها أنها استعلمت بكثرة في بادئ الأمر لفصل بين فترتين زمنتين، مثلا الصراع بين القديم والحديث وتجاوزتها بذلك إلى الفترة المعاصرة بإحداث القطيعة مع الماضي[4].

كان للحداثة ظهور مبكر في القاموس الفرنسي في أعمال الروائي الفرنسي أونوريه دي بلزاك Honoré De Balzac، كصياغة إصطلاحية أما البداية الفعلية للحداثة كمفهوم بدأت حوالي سنة 1850م مع جيراردي نيرفال Gérard De Nerval وشارل بودلير Charles Baudelaire، ثم أدرجت بعد ذلك في الكثير من القواميس والموسوعات الغربية.[5]

---

[1] إبن منظور: " لسان العرب"، دار المعارف، ط1، مصر، ص 133 .

[2] شوقي ضيف واخرون: "المعجم الوسيط"، مكتبة الشروق الدولية، ط4، مصر،2004، ص ص159-160.

[3] نفس المرجع"، ص160.

[4] "نفس المرجع"، ص160.

[5] محمد نور الدين أفاية: " الحداثة والتواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة"، أفريقيا الشرق، ط2، لبنان،1998،ص109.

و بهذا نصل أخيرا إلى الحداثة كمفهوم وما يحمله من أفكار ومقاصد، لنفهم ما يرمي إليه المشروع الحداثي في تأسيسه، وفي هذا الصدد نجد أن مفهوم الحداثة كما سبق الإشارة إليه أنه مفهوم وغير محدد أو محصور في معنى ما، فقد تعدد القراءات والدراسات فيه بين فلاسفة العرب والغرب رغم كون المشروع غربيا بامتياز، فجاء في وصف ألان تورين للحداثة أنها ثورة للعقل أين يتخلص فيها العقل من كل أشكال التنظيم السياسي والاجتماعي وحتى الديني، التي لا تقوم في تأسيسها على أدلة علمية لتحمي النشاط العقلي من أية دعايات سياسية أو اعتقادات دينية، فقد ارتبطت فكرة الحداثة ارتباطا وثيقا بالعقلنة كون فكرة العقلنة تلخص تاريخ الحرية والسعادة والانتقال من المحدودية إلى الأكثر شمولية، فقد خلقت الحداثة الفرصة لمجتمع أكثر عقلانية يتم فيه الفصل بين الحياة العامة و الحياة الخاصة[1].

ولما كان فاعل الحداثة هو العقل حل العلم محل فكرة الله، وفكرة الذات المرتبطة بها فألغاها فأصبحت الحياة الفردية لا تخضع سوى لقوانين الطبيعة، ولا إمكان لوجود كائن أسمى يمكن الإذعان له تحت أي تأثير كان، فدمرت بذلك الحداثة فكرة الأجسام الوسيطة التي تعمل على تعتيم المعرفة والتواصل الطبيعي، كما فعلت الثورة الفرنسية فلا تزال روح فلسفة التنوير حاضرة في مشروع الحداثة خاصة الفلسفة التنويرية، التي ينتمي إليها الفيلسوف جان جاك روسو التي تفرض الوضوح والشفافية للمجتمع، بحملها لمثل عليا كونية كالحرية، والإيحاء،والمساواة[2].

لتجد الليبيرالية طريقها فتكون السلطة بذلك مطلقة عقلانية وجمعية على حد سواء، تمهد لانتصار العقد الاجتماعي الذي يحمي شفافية المجتمع ضد أي تعسف أو فكر رجعي[3].

[1] محمد نور الدين أفاية: "مرجع سابق"ص 109.

[2] ألان تورين:" نقد الحداثة، تر: أنور مغيث، المجلس الأعلى لثقافة، مصر ،1997ر،ص ص29-32.

[3] ألان تورين:" المرجع نفسه"، ص32.

المطلب الثالث/أسس الحداثة:

استند المشروع الحضاري للحداثة في تأسيسه على عدة مرتكزات يمكن إختزالهم في نقاط مهمة تحيط بالأساسات المحورية لها.

1 العقلانية:

تعد العقلانية الركيزة الأساسية للحداثة، فلا يمكن تصور الحداثة دون منتجات عقلية فهي ترفض كل تصور قديم ديني طوباوي، وبتالي فالعقلانية هي حالة من القطيعة مع الغائية الدينية وانتصار لسلطة العقل والبناء لعالم جديد تحكمه إرادة العقل، فتجعله المبدأ الذي يعتمد عليه في مجالات الحياة الشخصية والاجتماعية إذ نادت العقلانية بوجود الإنسان على أساس التوافق مع العقل؛ وقد اتجهت العقلانية لمحاولة تجاوز العقبات التي تحول دون المعرفة العلمية، ويتبدى هذا أكثر في الفلسفة الوضعية، التي أعطت للحداثة ملامحها الأساسية حين رفضت التصورات الكنسية، مولية بذلك عليها المعرفة العلمية ومؤكدة على أهميتها، ويتمظهر هذا التأكيد على قيمة وضرورة المعرفة العلمية في عطاءات المنهج التجريبي الذي أخذ بالعقلانية الأداتية، التي تميزت بالموضوعية وتركت بصمتها في شتى أفاق المعرفة العلمية وتطبيقاتها[1].

2 الفردانية:

تدل الفردانية في معناها على مرجعية ومركزية الذات الإنسانية، وحريتها، وكذا فاعليتها، فهي تتخذ الإنسان موضوعا لتفكيرها، فيعبر عنها هايدغر في قوله :"هي ذلك التأويل الفلسفي للإنسان الذي يفهم ويفسر كلية الوجود انطلاقا من الإنسان وفي اتجاه الإنسان "[2]، فهو في تعريفه هذا لها يؤكد على النزعة الإنسانية والذاتية في رؤية الوجود فيضع الإنسان بهذا محور الوعي وعملية الفهم فتدرك الفكرة برجوع إلى الذات مما تعطي قيمة لادعائها وقد فصل الدكتور

[1] علي وطفة: "مقاربات في مفهومي الحداثة وما بعد الحداثة "، مجلة فكر ونقد، العدد43، (نوفمبر2001)، ص 107.

[2] "نفس المرجع "ص107.

محمد سبيلا ما تعنيه الذاتية انطلاقا من قراءته لهيجل، حيث يرى هيجل أن مبدأ الذاتية لم ينشأ من العدم وإنما هو وليد أحداث تاريخية كبرى، أبرزها حركة الإصلاح الديني التي جاء بها الراهب الألماني مارتن لوثر، والفلسفة التنويرية، ومخرجات الثورة الفرنسية؛ مع الإصلاح الديني تحول مفهوم الإيمان والعالم المقدس ليعود إلى التفكير الشخصي للفرد وبذلك تأكيد على سيادة الذات عكس ما كان عليه الإيمان التقليدي في السابق، كما في الثورة الفرنسية أيضا تأكيد على حق الإنسان وحريته الخاصة في الاختيار من خلال نقض مبدأ الحق التاريخي للدولة والإطاحة بالنظام الملكي المطلق الذي عرفته فرنسا لمدة طويلة من الزمن، وبهذا تكون الذات الإنسانية والفرادة الخاصة هي المرجع النهائي لكل أشكال المعرفة، وكذا المواقف والقرارات فلا قيمة أخلاقية ولا سعادة في تحصيل الحقيقة إلا من خلال الذات وتحقيق منافعها[1].

3 العدمية:

تعتبر العدمية هي الأخرى إحدى أساسات الحداثة الغربية وتشرح العدمية في معناها غياب كلي للقيم السالفة والسابقة التي كان يستند عليها الإنسان، فقد أفقدت الحداثة بمجيئها كل معنى أو حقيقة نتيجة كشفها عن الأساس الحقيقي للمثل الدينية، والقيم الأخلاقية، والمبادئ السياسية التي كانت فأظهرت مدى بهتانها وسطحيتها، ويعود الأصل في الإقرار بمبدأ العدمية إلى الفيلسوف الألماني" فريديريك نيتشه "Friedrich Nietzsche(1844-1900)" حين صاغ مصطلح "العدمية الناقصة "كتوصيف لحالة الأزمة الحديثة التي غابت عنها القيم العليا التي كانت راسخة منذ عقود من الزمن، فأصبح الإنسان الحداثي يبحث عن قيم جديد يسد بها الفجوة التي أحدثتها الحداثة في تحطيمها لقيم العصور التي سبقتها[2]، ونتشه يبرر صياغته هذه بمحاولة أو رغبة الفلسفة الحديثة بخلق قيم جديدة، ذلك جراء أفول عوالم الآلهة ما جعل الإنسان الحداثي يعيش في تقلب وتبدل مستمرين؛ إلا أن هذا البحث انتهى إلى خلق منظومة قيمية من ذات القيم السابقة

[1] صدر الدين القبانجي: " الأسس الفلسفية للحداثة"، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، لبنان ،2010، ص ص44 -45.
[2] "نفس المرجع "ص45.

التي تتسم بالتعالي ويغلب عليها الطابع الميتافيزيقي، وحتى يتجاوز نيتشه الوصف السابق الذي أطلقه على حالة الأزمنة الحديثة اصطلح صياغة أخرى لها تحمل نفس معنى العدمية إلا أنها عدمية كاملة، لا تأبه لفقدان وغياب القيم والمثالات العليا التي عرفتها سابقا.

وبإعلان نيتشه لموت الإله إعلان أخر لانهيار كل القيم والأساسات التي بني عليها المشروع الحداثي والكشف على الانعكاسات السلبية للحداثة وانتقاد أطروحاتها[1].

[1] محمد الشيخ: "مقاربات في الحداثة وما بعد الحداثة"، دار الطليعة للطباعة و النشر، لبنان، ط1، 1996، ص ص14-15.

المبحث الثاني: ما بعد الحداثة كمرحلة جديدة.

- المطلب الأول: مفهوم ما بعد الحداثة
- المطلب الثاني: مرتكزات ما بعد الحداثة
- المطلب الثالث: علاقة الحداثة بما بعد الحداثة

المبحث الثاني: مابعد الحداثة كمرحلة جديدة

لم تستطع الحداثة رغم ما وصلت إليه من تطور من تحرير الإنسان من العبودية، بل هي الأخرى وضعته في أقفاص جديدة تحت وطأة العقل والعقلانية، فمشكل الحداثة كما يصفه ألان تورين أنها تطورت ضد ذاتها، وفي سياق العقلانية والنزعة العلمية التي فرضتها الحداثة تم استلاب المقومات الإنسانية لوجود الذات، فستلبت بذلك المشاعر السامية للإنسان وشوه التقدم العلمي الجانب الإنساني للذات، فالتوجه الكبير نحو العقلانية رمى بالإنسان إلى غياهب الاغتراب و الاستلاب فانتصار العقل ينزع إلى التخلي عن الذات، فتلك هي المعادلة الصعبة أن يختار الإنسان بين الذات والعقل، وتنامي هذا الانفصال يطرح أزمة حقيقية؛ وفي غمرة هاته الانتقادات التي وجهت للحداثة تنامى مفهوم أخر يبشر بقدوم مرحلة جديدة تعلن انتهاء مرحلة الحداثة، فما بعد الحداثة مفهوم يشير إلى التتالي بين المرحلتين زمنيا، إلا أنه يصعب تحديد تصور واحد له هو الأخر فقد تعرض إلى التغيير كغيره من المصطلحات الحديثة [1].

[1] علي وطفة: "مرجع سابق"، ص110-111.

المطلب الأول/ مفهوم ما بعد الحداثة:

ينبغي علينا هنا عرض مواقف بعض الفلاسفة والمفكرين إزاء مصطلح ما بعد الحداثة، و من هذا المنطلق يمكن الإشارة إلى موقف الفيلسوف "جان فرانسوا ليوطار Jean-François Lyotard (1924-1998)" في كتابه "الوضع ما بعد الحداثي "، يرى أن ما بعد الحداثة تمثل سخط و تجاوزا للحداثة ولسردياتها الكبرى كما سماها هو، وتشكيك في مدى صدقها وفاعليتها من جهة وكذا تحلل للأسلوب الحداثي الأعلى، كان هذا نتيجة تقدم العلوم غير أن معيار الصدق في المجتمع الما بعد حداثي لا يتعلق بما هو عادل، وإنما هو معيار تكنولوجي، ويحدد ليوطار بداية العصر ما بعد الحدثي مع نهاية الخمسينيات في أوروبا ويبقى التفاوت الزمني أبطئ أو أسرع حسب البلد. [1]

وبالعودة إلى تحليل مصطلح ما بعد الحداثة كان قد صاغ ليوطار مصطلح السرديات الكبرى للحداثة، ليشير بها إلى تجاوز سلطان العقل، واللوجوس، والتاريخ، والحقيقة، التي كانت بمثابة خطاطة أساسية تبرر وتفسر جوانب الحياة، فحلت محلها التكنولوجيا الحديثة والإعلام وبهذا أصبحت الحقائق عائمة على حد تعبير" بودريار Jean Baudrillard (1929–2007)" لاينتظمها أي مركز وأمام هذا التصور نحن نحو اقتلاع جذور المرجعيات الكبرى، فالتمثلات والوقائع الخارجية هي مجرد محاكاة زائفة للواقع، فلم تعد العلامات تشير لأي مدلول يحمل معنى معقول فانفصال الدال عن المدلول هو انفصال الحقيقة عن الواقع [2]، فذهب ليوطار في كتابه "الوضع ما بعد الحداثي" في التأكيد على ضرورة التشكيك في مصداقية هاته السرديات، التي بنيت عليها الخطابات الأصولية وأسست للمشاريع العقلانية، والعلمية ،والتكنولوجية، والسياسية للعالم المعاصر ويهاجم ليوطار بشكل خاص سرديتين أساسيتين، السردية التي تزعم بالتحرر التدريجي للبشرية والسردية التي تتناول انتصار العلم ويرى أنهما فقدا مصداقيتهما مع نهاية

[1] جان فرانسوا ليوطار" الوضع ما بعد الحداثي"، تر: أحمد حسان، دار شرقيات للنشر و التوزيع، ط1، مصر ،1994، ص ص18 – 29.

[2] لشخب سمية: "الأدب التفاعلي وفلسفات ما بعد الحداثة قراءة في المرجعيات "، مجلة الأداب والعلوم الإنسانية، العدد14، (ديسمبر2014)، ص91 .

الحرب العالمية الثانية، وركز بشكل رئيسي في السردية الأولى على اليوتيوبيا الماركسية، الي سيطرت على الفكر الغربي منذ القرنيين الماضيين، إضافة إلى الليبرالية والاشتراكية، لينتقل الوضع ما بعد الحداثي من حقيقته الصلبة إلى السائلة خاصة مع نهاية الرأسمالية التقليدية الصارمة، ودخول الرأسمالية المتأخرة الاستهلاكية التي تهتم فقط بالصورة والعوالم الافتراضية والصناعات الرقمية فأزاحت فكرة القمة أو المرجع، يقول ليوطار "ما أعرفه هو أنني عائم بين ثنايا الأدب الأدبي التفاعلي المازج بين عدة عوالم مختلفة"[1].

وإعتبارا لما أسلف ذكره يتضح أن رؤية ليوطار في حالة ما بعد الحداثة ينوه فيها إنسان ما بعد الحداثة للتخلي عن الحكايات الكبرى، التي فرضت عليه نوعا من الإقصاء أو كما يصفها على أنها الإرهاب الشمولي الذي حكم الفكر الغربي فأصبح جرائها حبيس الصور الكلية ،إذ أن هاته السرديات أو الحكايات لا تعدو أن تكون مجرد أساطير ومذاهب تاريخية تغذت منها المجتمعات حتى العصر الحديث، إلا أن بعدما عايشه من مخلفات الحروب والأنظمة الشمولية أصبح ليس بمقدور الفرد أن يعتمد على هاته السرديات و لا ينتظر أي حلم بغد أفضل، لا من العلم و لا أية أيديولوجيات فمزاعم بلوغ السعادة و الحرية في العصر ما بعد الحداثي لا يمكن لهاته السرديات تحصيلها للإنسان، خاصة بعد سطوة عالم التقنية والعلوم الحديثة على حياته ووجوده وأضحى السبيل الوحيد بهذا هو التكيف مع هاته التقنيات دون الوثوق بها فيما يتعلق بحياته النفسية وسعادته[2].

وهذا ما يعني أن ليوطار يرى بأن المشروع الحداثي لم يتم التخلي عنه فقط بل أكثر من ذلك تحطيمه وإزالته، خاصة بعد حادثة الهولوكوست*[3] فهي إحدى العلامات النموذجية لتراجيديا

[1] نادية بوحاريش: "ما بعد الحداثة: الدليل المعرفي الجديد "، مجلة المدونة، العدد الاول، (مارس2021)، ص20.

[2] نفس المرجع ،ص28.

[3] **حادثة الهولوكست 1945_1939**: أو المحرقة اليهودية وهي عبارة عن مصطلح تم استخدامه لوصف الحملات الحكومية المنظمة من قبل حكومة ألمانيا النازية وبعض من حلفائها لغرض الاضطهاد والتصفية العرقية لليهود في أوروبا أثناء الحرب العالمية الثانية وتعتمد الهولوكست في اساسها على معاداة السامية أي التحيز ضد اليهود.

الحداثة التي تنقل وتصف مكامن الشر المطلق، وفي هذا نلتمس دعوة ليوطار باستبدال السرديات الكبرى بالسرديات الصغرى، من خلال نظرته المغايرة والمختلفة عن الأشياء ويتوجب إعلان الحرب عليها كفكرة الإجماع والحقيقة المطلقة والمرجعيات الثابتة والقيم المعيارية المتعالية إلى غير ذلك من النماذج الكلية التي تؤسس لفكرة التسلط وقهر الإنسان؛ وتبرير ليوطار في استبدال وإزالة السرديات الكبرى يتلخص في أن السرديات الصغرى هي عبارة عن خطابات تؤسس لها جماعات بغرض تحقيق أهداف معينة، تتسم بالوقتية والمرحلية والبراغماتية في ذات الوقت، إلا أنها لا تحمل طابع شمولي ولا السلطوي كسابقتها وكذا روح الاختلاف التي تبثه السرديات الصغرى الذي ينزع إلى رفض نزعات التهميش التي روجت لها ومارستها السرديات الكبرى في مختلف الفضاءات الاجتماعية والسياسية[1].

المطلب الثاني/ مرتكزات ما بعد الحداثة:

إستندت ما بعد الحداثة في قيامها على مجموع مكونات ومرتكزات فكرية وفلسفية، كانت وراء انهيار المشروع الحداثي ودخول عصر ما بعد الحداثة كتجاوز للحداثة في هيكلة جديدة تنقض كلما طرحته سابقتها.

1التشكيك /جان فرانسوا ليوطار François Lyotard (1924-1998):

تقوم نظرية ما بعد الحداثة بشكل كبير على مبدأ التشكيك والتزام موقف الشك اتجاه الأقانيم الكبرى للحداثة الغربية، وتضم بذلك الفلسفات الكبرى كالكانطية، والهيغلية، والماركسية، التي تحمل نصوصا سردية تضفي نوعا من السلطة والشرعية على مجمل الممارسات الثقافية وتشكل أراء الفيلسوف جان فرانسوا ليوطار محورا هاما من خلال ما ضمنه في كتابه "الوضع ما بعد الحداثي" الذي يزعم فيها أن النصوص السردية الرئيسية تشهد أزمة وتراجع كبير، حيث يرى

[1] خالدي مزاتي: "إشكالية ما بعد الحداثة في الفلسفة الغربية المعاصرة: جان فرانسوا ليوتار وبورغن هابراماس أنموذجان " جسور المعرفة، العدد الرابع (ديسمبر 2020)، ص102.

ليوطار أن تلك النصوص فقدت جزءا كبيرا من مصداقيتها وموثوقيتها بعد الحرب العالمية الثانية والأحداث التي شهدتها ذلك الوقت، ويعرف العصر الما بعد الحداثي تشكيكا كبيرا في الادعاءات الكبرى للحداثة الغربية[1].

ويعتمد زعم ليوطار بتراجع الادعاءات الكبرى من خلال الاحتكام إلى الحالة الثقافية السائدة من جهة وإلى انهيار الماركسية من جهة أخرى[2]، ذلك أن الامتثال الأعمى لمرجعيات شمولية وقومية دينية أو سياسية كانت يفضي إلى انتشار العنف والقمع وإلى مجتمع تمزقه نزاعات أيديولوجيات متناقضة، وبناء على هاته الرؤية أصبح موقف ليوطار ومن جاء معه من فلاسفة ومفكري ما بعد الحداثة موقف مشكك في وجود تفسير شامل وجامع يستند إليه، فقد أصبحت

الحقائق مشككا فيها بالية ولا تحمل قيمة من ناحية، وموقف معارضة ضد من يملكون السلطة في نشر هاته الادعاءات الكبرى من ناحية، فلا يملك ما بعد الحداثيين أي رؤية أو مرجعية صلبة وثابتة تتناسب وتتوافق مع العالم[3].

2 التفكيك / جاك ديريدا jacques Derrida (1930-2004):

يعتبر التفكيك أحد أهم اتجاهات فلسفة ما بعد الحداثة، ذلك من خلال تجاوز الثبات وترسيخ للامركزية في قراءة النص ،ليفتح المجال بذلك لدلالات المتصارعة والقراءات المتعددة ومنه نحو مقاربة تؤسس لروح الاختلاف والفيلسوف جاك ديريدا من خلال كتابه "الغراماطولوجيا" الذي نشره عام1967 يحاول تجاوز ميتافيزيقا الحضور والتأسيس للنص وتعرية الخطاب النقدي الغربي من صورته القديمة الجاهزة التي تتخللها رواسب قرائية تقليدية، التي من المفترض أنه لا يمكن تخريبها أو خرقها فجاءت بذلك التفكيكية بغية تصحيح المفاهيم وإعادة النظر في الأنطولوجيا والميتافيزيقا

[1] خالدي مزاتي:"مرجع سابق "ص102.

[2]كريستوفر باتلر: " ما بعد الحداثة"، تر: نيفين عبد الرؤوف، هنداوي للتعليم والثقافة، ط1، مصر ،2016، ص ص19 -21.

[3]كريستوفر باتلر: المرجع السابق، ص21.

الغربية، ومن هذا المنطلق يتبدى التفكيك كاستراتيجية تنزع لتجاوز الثبات وتؤسس لمعرفة جديدة أساسها الانفصال عن الجذور والمرجعيات وتقويض المركز[1].

وهذا التأسيس الذي يدعو إليه ديريدا من خلال مقاربته التفكيكية يوضح الرغبة في التمرد على الأساليب المركزية الغربية والتأويلات النهائية والمحدودة للخطاب، بالإضافة إلى تقويض مركزية العقل وميتافيزيقا الحضور لاستبدال الدال الصوتي بالدال الكتابي في إطار إزالة النموذج الأول، الذي هو النموذج اللغوي والنحوي فأخضعه للمسائلة فيما يتعلق بالمسلمات الميتافيزيقية والقواعد اللغوية، وفي هذا الصدد تقوم القراءة التفكيكية على تشريح النصوص الأدبية والسينمائية من جهة، ومحاولة إيجاد تلك الثغرة التي تحول بين ما يصرح به النص وما يتضمنه من معاني خفية[2]؛ومثال ذلك تقويض ديريدا للدال الصوتي الذي سيطر لعقود من الزمن فطروحات دوسوسير وأفلاطون هيمنت لسانيا على الثقافة الغربية لمدة زمنية طويلة فيعوض ديريدا بدل منها الدال الصوتي بالدال الكتابي، الذي همشت الطروحات اللسانية لكل من دوسوسير وأفلاطون دوره وقيمته[3].

وتأسيسا لما سبق يكون التفكيك قد أخذ منحنى مختلفا في الساحة النقدية كونه استراتيجية مغايرة في تحليل مضامين النص، واستخراج الدلالات اللانهائية[4] والمتعددة ما يزيد من حمل أبعاد مفاهيمية مشتتة، لا من أجل تغييب المعنى والحقيقة وإنما إظهار الخطاب المغيب أو كما يسميه ديريدا خطاب الهامش[5].

---

[1] كريستوفر باتلر: "المرجع السابق"، ص21.

[2] حنان حطاب:" التفكيك نحو التأسيس للمختلف "، مجلة العلوم الاجتماعية، عدد27، (أفريل 2018)، ص ص109 –110.

[3] "نفس المرجع "،ص110.

[4] جميل حمداوي: "استغراب ما بعد الغرب فلسفة التفكيك كنموذج "، الاستغراب، عدد 17، 2019 .

[5] حنان حطاب:" مرجع سابق، ص110.

3 التقويض /مارتن هايدغر Martin Haideddger(1889-1976):

يفترض التصور الهايدغري إعادة النظر في مسألة الوجود على غرار ما تصورته الميتافيزيقا الكلاسيكية للحداثة، وذلك من خلال طرح متجدد في مسألة الكينونة ينقض ما جاءت به الفلسفات الوجودية الكلاسيكية، بدء من أفلاطون إلى نيتشه، اذ يشكل سؤال الكينونة محورا هاما في تقويضه للميتافيزيقا الغربية، فالملاحظ عن الفلسفات الوجودية الكلاسيكية أنها تكلمت عن الكائن وقصدت به الكينونة، وغيبت الموضع الحقيقي للكينونة باعتبار أن هناك اختلاف أنطولوجي بين الكينونة والكائن ومسائلة تاريخ الميتافيزيقا هو السبيل الوحيد الذي يضمن التفكير الحقيقي في ماهية الكينونة [1].

تنطلق هاته المسائلة في تاريخ الميتافيزيقا بداية من "التفكير في الوجود بما هو موجود لإيجاد ذلك المفقود الذي وقع طي النسيان"، مع الطرح الوجودي الكلاسيكي واستحضاره مرة أخرى من خلال سؤال الوجود التاريخي، وهنا الطرح يتمحور حول "الموجود" مع مفهومه التقليدي الأفلاطوني الذي تحور مع أفلاطون من صورة مادية إلى ماهيات عقلية تتوضح من خلال فلسفة المثال الأفلاطونية ؛فقد أحال المعرفة إلى المثل وقصد بها شيء فضل السكوت عنه، وهي خاصية اللاتحجب الأساسية للحقيقة، وأحالها لنور المثال فقد غير بهذا موضع الحقيقة الذي لم يعد الموجود بذاته[2].

إستثنى هايدغر أرسطو من دائرة التقويض الذي بحث في ماهية الحقيقة، انطلاقا من الوجود بما هو موجود اعتبارا أنه يملك خاصية الحضور من قوله: "الوجود هو ما يكون بذاته أظهر الأشياء، ولكن ما هو بذاته أظهر الأشياء هو الأقل ظهورا بالنسبة لنا، أي من حيث طبيعة معرفتنا السائدة أو من حيث توجه هذه المعرفة، وإنما ما نعتبره الأشد ظهورا هو الموجود الذي ندركه في كل لحظة"، و يعود الفضل في استثناء هايدغر لأرسطو من دائرة التقويض إلى

[1] "نفس المرجع "ص110.

[2] إيناس كريبش :"الأساس الأنطولوجي لهرمينوطيقا الوجود عند مارتن هايدغر "، العدد الأول، (جانفي 2022)، ص535.

المنطق، الذي أبرز الفرق الأنطولوجي بين الكينونة والكائن ذلك من خلال إدراك علة الاختلاف، بالإضافة إلى أرسطو نجده أيضا أبعد كانط من دائرة التقويض لتأويله الفلسفي النقدي لمسألة الكينونة، الذي صوبه نحو قدرة العقل كما كان لديكارت النصيب من المسائلة من خلال الكوجيطو الذي كشف عن الوجود المتحجب وراء الموجود كـ"ذات مفكرة "، وظلت الميتافيزيقا بما تحمله من غياب لمسألة الكينونة متغاضية عن الوجود الأصيل، إلى غاية صياغة هايدغر لمفهوم الدزاين وتحليل إمكاناته التي منها أمكن للموجود الولوج داخل عالم والانفتاح عن الكينونة بشكل كامل[1].

4 الإختلاف /جيل دولوز Gilles Deleuze (1925-1995):

بعد تراجع المركزيات الغربية في عصر ما بعد الحداثة، اكتسح الإعلام الحديث وعالم صناعة الأفلام السنيمائية حياة إنسان ما بعد الحداثة وبذلك لم تعد اللغة الوسيلة الوحيدة المسؤولة عن تنظيم حياة الأفراد، فقد رافقت الصورة والفن السنيمائي عصر ما بعد الحداثة كعلامة سيمائية للتحصيل المعرفي، والصورة كطاقة بصرية تعكس ما بداخلها من محسوسات واقعية تشكل خبرات الإنسان غير أن المشكل الحقيقي للإنجاز التصويري في البعد الوظيفي التي تؤديه الصورة كونها تحمل دلالات فلسفية وبلاغية كثيرة[2].

فالصورة الفوتوغرافية ليست مجرد إطار جميل، بل هي تلك الرؤية والتصور الذي حل محل المواقف الحسية التي كانت تستثير حركة الإنسان في الماضي، ومع تطور تقنيات التصوير وأساليبه أصبح الموقف البصري هو الذي يتحكم في الإنسان، فقد لعبت الصورة في عصر ما بعد الحداثة دورا محوريا في تغيير أفكار وترسيخ أخرى بدلا منها، والتقاط الصور يعني تكوين علاقات مع العالم هذه العلاقات تؤجج للرغبة في المعرفة وتزود بالدليل عن العالم، فإذا ثمة هنالك شيء ما نسمع عنه ويثير الريبة داخلنا ونشك فيه تأتي الصورة لتعرضه علينا و يتم إثباته

[1] إيناس كريبش، "مرجع سابق"، ص ص535 -536.

[2] عبد الباري محمد مادي:"أبعاد الصورة ودلالتها الفلسفية "، علمية الحكمة، العدد 345،ص17.

بصورة له ؛و بذلك تتمظهر الصورة في العصر الراهني على أنها التفسير للعالم فمن خلال تقنيات التصوير الحديثة تطورت خاصية القراءة المرئية، وزاد التأثير العاطفي للعروض الفوتوغرافية، غير أن الصورة من زاوية أخرى يمكنها تشويه الحقيقة في حال أنها كانت غير متجانسة و لا ترتبط بالوقت، ولا يمكن التسليم بدقة بالحقائق التي تمنحنا إياها الصور، فالصورة كمادة تخزينية أيضا هي" نمط وجود و تدليل ونص ككل النصوص، لما يعتريها من وحدات دلالية تتجلى في أشياء وعناصر وأوضاع".[1]

و دولوز من خلال كتابه "فلسفة الصورة "كان يطمح إلى بناء صورة جذرية جديدة للفكر، ذلك بغية تجاوز فلسفة الحضور، والتمثيل، الماهيات، والثنائيات التي ظلت تلازم الفكر الكلاسيكي وأفقدته روح التعدد الاختلاف التي تميزه، فيضع فلسفة الحدث والرغبة والتعدد كبديل لها ومن خلال هاته الفلسفة يحاول دولوز إيجاد نقاط تتلاقى فيهم الفلسفة مع الفن والصور والأحاسيس والمدركات، فالفنانون والرسامون يبتدعون أفكارا وطرق جديدة للتعبير والتفكير.[2]

وينطلق دولوز في فلسفته هاته من مفهوم الصورة لديه الذي يعد مفهوما مبتكرا، سعى فيه إلى رصد توجهات الفكر، ومن أجل توسيع مجال التفكير العقلي نجد دولوز يكتب في الأدب والفن وغيره دون عتاد مسبق وأفكار أو مناهج قبلية جاهزة، إلا ما يستخلصه من كل تجربة في مجال ما، وهذا ما يفسر التجديد في أسلوبه ومفاهيمه تجسيدا لفلسفة التعدد التي طرحها في مقابل فلسفة الثنائيات الكلاسيكية، ولإبراز التشارك بين الفلسفة والفن فما يوحد الفلسفة والفن هو الإبداع حيث أن الفلسفة هي "فن تكوين و ابتكار وصناعة مفاهيم جديدة داخل أفق محايث لا يقبل التعالي والمفارقة بل يعنى فقط بالتجريب"، فيكون بذلك الفكر والكون وجهان للشيء ذاته فلا انفصال بينهما فالفكر هو الصورة والكون هو المادة [3].

[1]عبد الباري محمد مادي: " مرجع سابق"، ص ص350-351.

[2]حموم لخضر: "لسنيما وصورة الفكر لدى جيل دولوز"، الحوار الثقافي، العدد الأول، (سبتمبر2019)، ص1.

[3]صورية عمران: "المشروع التطبيقي لفلسفة جديدة جيل دولوز أنموذجا "، سلسة الأنوار، العدد الأول، (ماي 2018)، ص ص24-26.

" ويذهب الإبداع في الفلسفة والفن بالإنسان بعيدا لاكتشاف إمكانات مغايرة للوجود وحياة نابضة ومتدفقة"، وقد أظهر دولوز تأثره بقراءة نيتشه للفن في تخليص وتحرير الحياة من جميع القيود والأغلال الميتافيزيقية التي تؤسس لفكرة القطيعة بين الفن والحياة الواقعية وتجاوزه للمثالية، والانعطاف الذي أحدثته قراءة دولوز للفن بتجاوزه للنظرية الكانطية الجمالية والصبغة المثالية التي تكتسيها، فكانط من خلال قراءته للفن ركز على الفن باعتباره مشهدا وإسقاطه مسؤولية تقويم المشهد على عاتق المشاهد، وبهذا يكون قد أسس لخطاب جمالي ترندستالي بعيد ومفارق للواقع المعاش، غير أن رؤية دولوز للفن تشترط ارتباطه بالحياة الواقعية وأن يرمز للوسط المعاش، كما يوضح دولوز أن الغاية من الدعوة الجمالية تركز على تجاوز المركزية في قراءة النص وتسليط الضوء على الهامش والتنقيب على المنسي والمتروك[1].

المطلب الثالث/ علاقة الحداثة بما بعد الحداثة:

1ما بعد الحداثة إستمرار للحداثة:

يعتبر الفيلسوف الألماني يورغن هابراماسJürgen Habermas (1929) أحد أهم الفلاسفة الحاملين للواء الحداثة والمدافعين عنها، ولعل كتابه "القول الفلسفي للحداثة "يبرهن ذلك في إعلانه أن الحداثة مشروع ناقص أو لم يكتمل و يرفض في هذا كل خطابات ما بعد الحداثة، ويختلف مع فلاسفتها ومع الأخذ بعين الاعتبار أنه أحد المنتمين للتيار النقدي لمدرسة فرانكفورت انتقد بشدة العقم النقدي لفلاسفة الجيل الأول للمدرسة، خاصة هوركهايمر Horkheimer Max (1895-1973)وأدورنو W.Theodor Adorno (1903_1969) ، مشخصا نقدهما أنه لم يتجاوز كونه فقط نقد إيديولوجي، ليطور بعد ذلك النظرية النقدية ويطرحها بشكل يجعل أكثر استجابة للواقع، وفي سياق محاولة إعادة الثقة للمشروع الحداثي وفي اعتبار أنه مشروع لم

[1]كرمين فتيحة: "جمالية الصورة وصيرورة الاختلاف في فكر جيل دولوز"، تنوير للدراسات الأدبية والإنسانية، العدد الأول، (جوان2021)، ص ص92-96.

يكتمل وهذا بالعودة إلى مبادئ التنوير، ولحظة تأسيس الحداثة الغربية فقد أعطى للتنوير صيغة إيجابية ذات فاعلية على غير الصفات السلبية التي انتقده كل من أستاذاه أدورنو و هوركهايمر ممثلي الجيل الأول للمدرسة، ومن خلال تأثره بالعديد من الفلسفات الكانطية، والهيغلية، والماركسية أعاد النقد إلى حقل الابستمولوجيا وشيد لنظرية تأويلية تبحث عن حقيقة توافقية خالية من الهيمنة[1].

بالإضافة على إعادة استنهاض مبادئ التنوير في مفهوم أخر لإحياء روح الحداثة الغربية، تمكن هابراماس ومن خلال قراءته لعدد من علماء الاجتماع وتحليل النقدي من صياغة عقلانية إجتماعية تواصلية بدلا من العقلانية التي تعرضت للنقد من قبل فلاسفة الجيل الأول للمدرسة، وذلك بغرض التأسيس طرح إجتماعي أو نظرية تستقطب المجتمع من أجل عقلنته وبناء مجتمعات حرة تقوم على أسس ومبادئ عقلانية، كون الأداتية قد هوجمت من منطلق أنها حولت الإنسان على أداة وموضوع طبيعي. وفي إطار صياغة هابراماس للنظرية العقلانية الاجتماعية قد تأثر بنظرية ماكس فيبر، بذلك أصبحت شروط السلوك العقلاني لا تقوم فقط على مستوى معرفي بل تتعدى ذلك إلى مجال الأخلاق العلمية[2].

والمنعطف الهابراماسي في دعوته للعقلنة في مفهوم جديد يقوم على إدخال أبعاد أخلاقية علمية يؤسس لفكرة النقاش والحوار، التي تخضع للمصالح البشرية فالعقل الحديث لم يستنفذ كافة إمكاناته وطاقته للمساءلة نتائجه اللاعقلانية، وبهذا يدعو هابراماس من خلال دفاعه عن الحداثة إلى التخلص من المركزيات والهيمنة التي حصلت في الماضي، ويرى من خلال نظريته التواصلية

[1] كرمين فتيحة: "مرجع سابق"،ص96.

[2] معرف مصطفى: "أزمة الحداثة عند يورغن هابراماس: من التشخيص إلى التجاوز "، الحكمة للدراسات الفلسفية، العدد الثاني، (أكتوبر 2021)، ص576-590.

أن المشروع الحداثي قد انحلّ بسبب اعتماده على ثوابت ومرجعيات تعزز من فكرة الهيمنة والسلطة التي أعاقت المشروع الحداثي وحالت دون تحقيقه[1].

ومن هذا المنطلق يرى هابراماس بضرورة استكمال المشروع الحداثي بدلا من التخلي عنه من خلال الفحص وتشخيص سلبياته وإيجابياته وأسباب هاته الأزمة التي وقع فيها، وعلى خلاف نقاد الحداثة كان نقد هابراماس للمشروع الحداثي نقدا داخليا يسعى فيه إلى إعادة الاعتبار وبنائها معنى ومشروعا عكس ما أدلى به نقادها الأخرون وأعلنوا انتهائها، ويؤكد أن طريق إنجاز الحداثة من جديد يكون عبر إمكانات العقلانية وتفحص المقولات الكبرى للحداثة التي نخرتها الأزمات[2]. واعتبارا لما سبق نجد هابراماس يؤكد على فكرة استمرار المشروع الحداثي والمراجعة والتأمل العميق لمساراتها بدلا من إعلان انتهائها وإفلاسها[3].

2 ما بعد الحداثة تجاوزا للحداثة:

على الرغم من أن المشروع الحداثي قد قام على نقد الميتافيزيقا وتجاوزها، إلا أنه قد أعاد للميتافيزيقا فعاليتها في تصور وصيغة جديدة بتأليه العقل والإيمان المفرط بقدرته على التوصل لحل كافة المشكلات الإنسانية، والثقة المطلقة به على التفسير والتأسيس ومن هذا التأليه يتمظهر العقل على أنه قوة أو إرادة تتحكم في الإنسانية وتعزلها عن كل مسؤولية أخلاقية، هذه الصورة المضمرة للحداثة حولت الإنسان من بناء عاقل إلى غير عاقل[4].

وبالنظر إلى مألات المشروع الحداثي يتعين القول بنهاية الحداثة وإبرام القطيعة مع أزمنتها، هذا ما دفع مفكري الفترة المعاصرة للكتابة ضد الحداثة من منظور ما بعد الحداثة، حيث أكد ما بعد الحداثيون زوال الحداثة وتفكك أنساقها ومركزياتها والانتقال إلى عصر ما بعد الحداثة،

[1] معرف مصطفى:" مرجع سابق"، ص590.

[2] معرف مصطفى:" مرجع سابق"، ص592..

[3] معرف مصطفى:" مرجع سابق"، ص593.

[4] شاكر مخلوف: "ميشيل فوكو والحداثة الفلسفية "، مجلة العلوم الإنسانية والإجتماعية، عدد10، (جوان 2016)، ص140.

ويمثل فرانسوا ليوطار رائد المرحلة الما بعد الحداثية بامتياز، يرى محدودية الفكر الحداثي الذي نتج عن سيطرة العقل، والتطرف، والخطابات الشمولية المغلقة، التي تقصي كل من يعارضها، هذا ما ألغى فكرة كون الحداثة وعيا خالصا فالحداثة بارتباطها بمحددات معينة كالعقلانية لا تتجاوز مجرد أنها زمن تاريخي وفقط[1].

ومع انهيار وتلاشي السرديات الكبرى كما أطلق عليها ليوطار، انتهت الحداثة بتلاشي مبررات وجودها، وكان لابد من الإعلان عن انتهائها، وقد رأى ضرورة هذا الإعلان عن نهايتها مفكرو ما بعد الحداثة أيضا، ذلك للتأسيس الواقعي للحقيقة والتخلص من التفسير التاريخي لها التي قدمته الحداثة الذي يظهر التناقض الحاصل داخل مكوناتها والعجز عن تفسير الواقع[2].

وبالعودة إلى التفكير العقلي الكانطي الذي يدعي بالوعي بكل ما هو موجود في العالم، يتضح أنه عاجز عن تقديم معطى مادي يجسد هذا التفكير العقلي، وبتالي يسهل عملية الفهم، وبذلك تكون ما بعد الحداثة قد اهتمت بإعطاء البعد العملي لكل ما كان مقصي من قبل الحداثة الذي اهتمت بالشكلانية في تصنيف الأشياء بدل الرمزية.

وقد كان الحداثيون يتأملون فكرة حصول التطور في المستقبل انطلاقا من هذا التفكير الشمولي، الذي يعطي الشرعية للمؤسسات السياسية في الممارسة وحمل طابع العالمية، غير أن العالمية بنسبة لليوطار هي أحد أضخم السرديات التي ترتبط الجانب الخيالي، بعيدا عن كل مسميات الواقع، وفي سياق نقد الحداثيين للحداثة رأوا أن هابراماس لم يكن بمفارق في طروحاته عن تداعيات الحداثة، خصوصا في تحليله لمسألة علاقة التقية بالعلم ودخول الرأسمالية الجديدة والمجتمع ما بعد الصناعي[3].

[1] "نفس المرجع "،ص140.

[2] جمال درويش:"الدولة والمجتمع في مرحلة ما بعد الحداثة" (رسالة ماجستير)، جامعة الجزائر، 2008، ص ص36-37.

[3] جمال درويش: "مرجع سابق"،ص37.

كما يشير ليوطار إلى تغير مركز المعرفة عما كان عليه بدخول المجتمعات لعصر ما بعد الصناعي، بحيث دخلت ثقافة المعرفة في المجتمع الما بعد حداثي لتلبي حاجات الأفراد، وبتالي تغيرت طبيعة المعرفة من المطلقية إلى النسبية، فقد أصبحت الأبحاث موجه للاستهلاك الصناعي والاقتصادي وبتالي تغير مسار الحضارة الغربية، كل هاته التحولات تؤسس لتجاوز فكرة الحداثة لتحل محلها ما بعد الحداثة كتوصيف لحالة المجتمعات الغربية الراهنة[1].

[1] "نفس المرجع "ص42.

الفصل الثاني

المبحث الأول: قراءة في حياة وفكر جيل ليبوفتسكي

- المطلب الأول: حـيـــاتــه.
- المطلب الثاني : إرهاصات فكره.
- المطلب الثالث: إنــتــاجــاتــه الـفـكريـــة والـفـلــسـفـيــة.

المبحث الأول: قراءة في حياة وفكر جيل ليبوفتسكي

شهد عصر ما بعد الحداثة غزارة في الإنتاج الفكري والتنظير الفلسفي وتعددت في ذلك القراءات حول هاته الحقبة، بين توجهات فلسفية علمية، وأخرى سياسية، وأخرى ناقدة لما أفرزته الحضارة الغربية من نتائج خلال هاته المرحلة، وبذلك ظهرت دراسات مكثفة مع بدايات القرن الواحد والعشرين، أعادت مسائلة الفكر إلى ما بعد الحداثة بما أحدث من تغيير في المنظومة الفكرية، والقيمية، وما طرحه وأدى إليه هذا التغيير.

وفي هذا المقام يتسنى لنا الإشارة إلى ظهور مفكرين وفلاسفة كثر، حاولوا من خلال نصوصهم الفلسفية معالجة مختلف المشكلات، والأمراض التي يتخبط فيها المجتمع الغربي المعاصر، من بينهم الفيلسوف والكاتب الفرنسي "**جيل ليبوفتسكي GilleLipovetsky".**

فمن جيل ليبوفتسكي؟ ماهي أهم المحطات الفكرية المؤثرة في تكوينه الفلسفي؟ وماهي أهم إنتاجاته الفكرية والفلسفية؟

المطلب الأول/ حياته:

جيل ليبوفتسكي"Gilles Lipovetsky " فيلسوف وعالم اجتماع، وكاتب نقدي فرنسي معاصر، من مواليد 1944 م بمدينة "ميلو Milieu" [1]درس في ميشلي الفرنسية Michelet حوالي سنة 1966 م، بعد انتهائه من المرحلة الثانوية انتقل إلى باريس لدراسة الفلسفة بجامعة السوربون، وهناك تعرف على الفيلسوف "جون فرانسوا ليوطار Jean François lyotard(1924-1998) " وتتلمذ على يده سنة 1965، انخرط ليبوفتسكي بعدها في مجموعة سلطة العمال pouvoir ouvrier سنة 1966 م بتحفيز من أستاذه جون فرانسوا ليوطار، ومجموعة ماركسية يسارية، انبثقت عن جماعة اشتراكية بربرية أسسها كل من "كونيليوس كاستورياديس C castriadis " و"كلود لوفور Claude Lefort " وهي منظمة ثورية فرنسية قريبة من المجلس الشيوعي ذات اتجاه ماركسي تنشط ضد ستالين، ساعد انضمام ليبوفتسكي إلى مجموعة سلطة العمال التعرف على شخصيات هامة كان لها دور بارز في تكوينه الفلسفي، أمثال السياسي ألكسيس دي توكفيل A D Toqueville(1805_1859)، دام انتماء ليبوفتسكي إلى هاته المجموعة إلى غاية سنة 1967 م، وفي السنة التي تليها أنهى دراسته وفي ذات السنة شارك في انتفاضة الطلبة بباريس لتغيير النموذج التعليمي الفرنسي.[2]

تحصل بعد ذلك على شهادة الأستاذية سنة 1969م وبعدها أصبح أستاذا مجازا في الفلسفة سنة 1970م، ودرس في الثانوي في كل أورانج و غرونوبل[3] orange Grenoble توقف ليبوفتسكي عن التدريس سنة 1992م لارتباطه بمهام تخص الدولة، لكنه واصل تأليف وإنتاج الكتب وإلقاء المحاضرات[4].

---

[1] عزيزة زواغي، "الحداثة المفرطة عند جيل ليبوفتسكي"، (مذكرة لنيل شهادة الماجستير)، جامعة الجزائر 2، ص56.

[2] نسيمة ضيافات،"نقد التحول الثقافي عند جيل ليبوفتسكي"، (مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه)، جامعة سطيف3 ، 2022، ص1.

[3] عزيزة زواغي، المرجع السابق، ص57.

[4] "نفس المرجع"،ص57.

عرفت مسيرة ليبوفتسكي العلمية الكثير من المحطات وتحصل على العديد من الشهادات، من بينها (06) دكتوراه فخرية من عدة جامعات وهي كتالي:[1]

- ✓ جامعة شيربروك الكندية سنة2001 م.
- ✓ جامعة بلغاريا الجديدة سنة 2005 م.
- ✓ جامعة أفييرو البرتغالية سنة 2013 م.
- ✓ جامعة فيرا كروز المكسيكية سنة 2015 م.
- ✓ الجامعة المستقلة الكولومبية بالكراييب سنة 2015 م.
- ✓ الجامعة الكاثوليكية البرازيلية ريو غراند دو صول سنة 2015 م.

كما تقلد جيل ليبوفتسكي عدة مناصب هامة كان لها أثر في كتاباته ومؤلفاته، فقد كان عضوا بالمجلس الوطني للبرامج بوزارة التربية الوطنية إلى حدود سنة 2005م، ثم كذلك عضوا بمجلس تحليل المجتمع تحت سلطة الوزير الأول الفرنسي إلى سنة 2013م، وقد شغل أيضا منصب فارس بالفرقة الشرفية في ذات السنة، بالإضافة إلى أنه كان مستشارا خبيرا بجمعية تقدم الإدارة وكذلك أمينا بمعرض بانتالا العالمي ببرشلونة سنة 2012م وإلى غيرها من المناصب الكثيرة التي شغلها[2].

[1] عزيزة زواغي، المرجع السابق، ص58.

[2] "نفس المرجع،ص58.

المطلب الثاني/ إرهاصات فكره:

لم تكن فلسفة ليبوفتسكي وطروحاته محظ تفكير عشوائي، فقد مر ليبوفتسكي خلال مراحل تكوينه الفلسفي بعدة محطات فكرية هامة، فقد قرأ لكثير من الفلاسفة غير أنه لا يعد

فيلسوفا تقليديا فهو لا ينتمي إلى أي فلسفة كانت لا كانطية ولا هيجلية، ولم يهتم بتحليل النصوص القديمة كنصوص هايدغر، بل انصب اهتمامه بمظاهر الحداثة وانعكاساتها على الأفراد والمجتمع خلال فترة القرن العشرين والألفية الجديدة.[1]

1 كارل هانريش ماركسKarl Heinrich Marx (1818_1883) :

لا يخفى تأثير الماركسية في تحليله لبعض القضايا، فقد كان للفيلسوف كارل ماركس تأثيرا واضحا فيه في أول حياته، ثم عدل عن ذلك واتخذ من الرأسمالية النموذج الإقتصادي الوحيد للمشروع. [2]

تظهر الخلفية الماركسية التي بدأ منها ليبوفتسكي مساره في انخراطه في الأحزاب الماركسية فترة شبابه في الستينات، فهو كغيره من الشباب المثقف الفرنسي ذلك الوقت، قرأ نصوص وحاول تحليل مضامينها وكذا التعليق عليها، إلا أن القول بانتماء ليبوفتسكي الماركسي لا يعني أنه قد تعامل مع النصوص الماركسية بمطلقية وأيد كل ما جاءت به الماركسية وتبنته الفلسفة الاشتراكية، وإنما تأثر بجزء منها فقط، و يمكن حصر الأفكار التي تأثر بها ليبوفتسكي من النظرية الماركسية في الصراع الطبقي ونقد الماركسية للرأسمالية[3].

هذا ويعيب ليبوفتسكي النظرية الماركسية في كثير من الجوانب مثل تقليلها من دور الأفكار وأهميتها في البناء الاقتصادي بالإضافة إلى تدخل الدولة في النشاطات الاقتصادية

[1] البشير عصام المراكشي: "جيل ليبوفتسكي "، مجلة أوج، العدد 5، 2018، ص 43.
[2] نفس المرجع، ص43.
[3] نفس المرجع ،43.

ويتبين رفضه لرذائل الماركسية في نقده للاتحاد السوفياتي، واعتباره دولة شيوعية فقد كان ضد الشيوعية ويرجع ذلك لانتمائه السياسي الماركسي اليساري[1].

ويمكن الإشارة إلى أن ليبوفتسكي قد صب اهتماما مفرطا بالحركة البنيوية، ذلك من خلال أعمال: "ليفي ستراوس Claude Lévi-Strauss(1908-2009)"، "بيار بورديو Pierre Bourdieu (1930–2002)"، "ميشيل فوكوMichel Foucault (1926–1984)"، "رولان بارتRoland Barthes (1915–1980)"، "لويس ألتوسير Louis Pierre Althusser (1918–1990)"، ويعد هذا الأخير أحد أهم المنظرين الماركسيين في القرن العشرين الذي جادل من خلال طروحاته حول الأسس النظرية للماركسية[2].

كما ظل لأكثر من عشر سنوات منهمكا في كتابة المقالات، والبحث، والتحرير، ذلك بالاستشهاد بالمؤرخين والفلاسفة أمثال "نيتشه Friedrich Nietzsche (1844–1900)"، وجيل دولوز Gilles Deleuze (1925–1995)"، جورج باطاي Georges Bataille(1897–1962)"، والمؤرخ الفرنسي جورج دوبيGeorges duby (1919–1996)"، بالإضافة إلى هؤلاء اهتم أيضا بندوات المحلل النفسي "جاك ماري ايميل لاكان Jacques Marie Émile Lacan (1901–1981)" بتأثير من "الفيلسوف كلود لوفور Claude Lefort "، فيما يخص مدرسة التحليل النفسي، والتي سلط الضوء فيها على أهمية اللاوعي، وبذلك كانت أعمال لاكان مهمة جدا لمن يشغلهم البعد الفلسفي للنظرية الفرويدية[3].

[1] عزيزة زواغي، مرجع سابق، ص 61.

[2] عزيزة زواغي، مرجع سابق، ص61.

[3] Quintero, Raul Corral. Gilles Lipovetsky : Una sociologia del presente pos (hiper) moderno.Universidad Autonoma Metropolitana Mexico(2007), p41

2 سيغموند فرويدSigmund Freud(1856-1939):

إن اهتمام ليبوفتسكي بالنظرية الفرويدية والتحليل النفسي ظهر في تحليله لقضايا عصر ما بعد الحداثة، أو ما أطلق عليه اسم الفرد النرجسي الذي كان للسياق المجتمعي في القرن العشرين، فضلا في انتشاره وتفشيه ويتمظهر هذا التفشي في التمركز المكثف حول الذات والفرد، هذا ما يضفي الصبغة النرجسية على فرد ما بعد الحداثة[1].

كما مثلت النرجسية مرحلة متجددة عن الفردانية، التي جعلت من الحداثة المحرك الأساسي للعلاقات الاجتماعية، وفي هذا يغلب على ليبوفتسكي التحليل الاجتماعي للنرجسية دون التحليل النفسي، فقد أعطى بذلك النرجسية بعدا اجتماعيا[2].

وفي نفس السياق يواصل ليبوفتسكي قراءته لأعمال فرويد، ويبتدي تأثير التحليل النفسي على معظم أعمال ليبوفتسكي الفلسفية، نذكر منها المقال الأول الذي صدر له عن مجلة النقد في عددها 314، وكان حول فكر أستاذه" فرانسوا ليوطار Jean François lyotard (1924-1998) سنة 1973م تحت عنوان" **رغبة العمل**" ويغلب على هذا المقال الطابع النفسي في تحليل ظاهرة العمل والرغبة في مناقشتها من طرف الفيلسوف. ويعكس هذا التأثر والشغف الكبير بقراءة أعمال فرويد في التحليل النفسي من قبل ليبوفتسكي رغبته في فهم نفسية الأخرين، ذلك لاعتقاده أن ما وصل إليه فرويد كفيل بشرح ذهنياتهم وتفكيرهم[3].

[1] Sylvie Vendette, « Le concept de narcissisme dans la psychanalyse freudienne : problèmes d'applications dans la sociologie de Christopher lasch et gilles Lipovetsky », Université Du Québec A Montréal, 2009, p100-101
[2] Sylvie vendette,OpCit,p100
[3] عزيزة زواغي، مرجع سابق، ص62.

3 ألكسيس دي توكفيل *A D tocqueville (1805_1859):

كان لفلسفة توكفيل أثرا بالغا في طروحات ليبوفتسكي وإنتاجاته الفكرية، خاصة في تحليلاته المتوازنة للواقع الحديث، فهو يقترب في تحليله للحقيقة التاريخية والواقع الحديث لتوكفيل أكثر من أي فيلسوف ما بعد حداثي اخر[1].

أعجب بفكر توكفيل السياسي في تحليله لمسألة الديمقراطية والمساواة والحرية وأطلق عليها توكفيل تسمية الثورة الديمقراطية كما أعجب بفكرة المجتمع الديمقراطي عند توكفيل[2] إذ يكون فيه التسلسل الهرمي بين من هم أقوى ومن هم أدنى.لا يحمل أي تحديد مسبق حيث أن الجميع متساوون في الفهم والقوة، أي أن التمايز بين الأفراد لا يعود لاختلاف في الشروط الوراثية، وبهذا تكون كل المهن والحرف والمناصب متاحة للجميع مما يحقق فكرة المساواة الاجتماعية، و بالتالي تزول الفوارق الطائفية وتصبح السيادة جماعية لا تعنى بها جهة أو جماعة معينة[3].

ومن خلال فكرة الديمقراطية التي جاء بها توكفيل استطاع ليبوفتسكي نقد الماركسية التي تقوم على الصراع الطبقي، وبهذا حلت الديمقراطية مكان صراع الطبقات. يتضح بشكل كبير تأثر ليبوفتسكي بما قدمه توكفيل من أفكار سياسية، وكان هذا التأثر باديا في كتاباته مثل (عصر الفراغ l 'ére Du Vide) الذي نشره عام 1983م حيث وظف فيه النرجسية التي تؤجج لتفوق الفردانية، وتعتبر النرجسية المعاصرة أحد أشكال الديمقراطية، ونتاج هذا

---

[1] TAMES, Enrique(2007).Lipovetsky: Del vacio a la hipermodernidad,Casa del tiempo,vol 1,epeca

***ألكسيس دي توكفيل(1805–1859)** : مؤرخ ومنظر سياسي وفيلسوف فرنسي ذو انتماء أرستقراطي اشتهر بأعماله الديمقراطية في أمريكا والنظام القديم والثورة اهتم بالسياسة في بعدها التاريخي وله نصوص تاريخية حول الاستعمار الفرنسي للجزائر حاول من خلالها شرعنة الاحتلال والاستيطان الفرنسي في الجزائر تقاعد من الحياة السياسية بعد انقلاب نابليون بونابرت سنة1851.

[2] عزيزة زواغي، مرجع سابق، ص62.

[3] هارفي سي مانسفيلد، "توكفيل"، تر: مصطفى محمد فؤاد، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ط1، مصر،2015، ص23.

التأثر كان عبر قراءته لأشهر أعمال توكفيل السياسية، "الديمقراطية في أمريكا" و"النظام القديم" و"الثورة" التي أظهرت له لا جدوى الصراع الطبقي ونفعية و عملية الديمقراطية، وبهذا تكون قراءة ليبوفتسكي لفكر توكفيل السياسي أولى خطوات تخليه عن النهج الماركسي و انتقاده فيما بعد[1].

يظهر من خلال ما كتبه ليبوفتسكي مدى تأثره بأفكار توكفيل في الحقل السياسي، و القارئ لكتبه يجد أنها تعج بفكر توكفيل، ككتاب (المرأة الثالثة la troisiéme femme) إلا أنه لم يكن متخصص بفكره، بل له فهمه الخاص للقضايا الفلسفية المعاصرة[2].

المطلب الثالث/ إنتاجاته الفكرية والفلسفية:

تتأرجح المجتمعات الغربية المعاصرة بين عدة خطابات متناقضة ومختلفة، شكلت التوجهات المعاصرة في تحليل الواقع، وفي هذا المقام تأتي كتابات جيل ليبوفتسكي برؤية نقدية لمساءلة وتحليل المجتمع الما بعد حداثي في نتائجه الراهنية، فالقارئ لما طرحه ليبوفتسكي منذ أول ما نشره أن له اهتمام بالتغير الاجتماعي إلى غاية اليوم على جميع المستويات، وقد وصل هذا التغير أقصاه حسب ليبوفتسكي مع بداية الألفية الجديدة، وعصر ما بعد الحداثة بتوفر جميع التكنولوجيات[3].

- يعد كتاب "**عصر الفراغ L'ére du Vide**" الذي نشره ليبوفتسكي عام 1983 م أحد أهم أعماله لما حققه له من شهرة، يعرض في هذا الكتاب تحليلاته الدقيقة فيما أسماه ثورة الفردانية الثانية، والتحولات الاجتماعية والثقافية للعالم المعاصر[4] كما طرح فيه

[1] هارفي سي مانسفيلد:"مرجع سابق"، ص23.
[2] عزيزة زواغي، مرجع سابق، ص 63.
[3] نفس المرجع، ص63.
[4] نسيمة ضيافات، "مرجع سابق"، ص1

الأضداد التي يقصد بها التناقضات التي يتخبط فيها الإنسان المعاصر وقد أعطى في ذلك عديد الأمثلة ك التمسك بحق الانتخاب، والامتناع عن التصويت على حد سواء.

- نشر بعد كتابه عصر الفراغ بأربع سنوات كتابا اخر وهو "**مملكة الزائل l'epmire de l'éphémére**" وفي ترجمات أخرى عربية توثر لفظة مملكة الموضة، كونها الموضوع الرئيسي للكتاب، نشر هذا الكتاب عام1987 م رصد فيه مسيرة الموضة والتقطعات والتذبذبات التي مرت بها عبر أجيال كما عرض فيه نشأة وجذور الموضة، وأسباب الاهتمام المفرط والشديد بالمظهر[1].
- بالإضافة إلى كتاب عصر الفراغ ومملكة الزائل قد كتب ليبوفتسكي في مجالات كثيرة ومن بين المواضيع التي شغلته نجد الواجب الأخلاقي، الذي ألف فيه كتابا تحت عنوان "**أفول الواجب Le Crépuscule Du Devoir**" نشره سنة 1992 م قام فيه بتحليل طبيعة الواجب الأخلاقي للإنسان المعاصر، وانتهى فيها إلى مجموعة من النتائج سنتعرض لها بالشرح في الفصل الثالث[2].
- "**المرأة الثالثة La Troisiéme Femme** "نشره عام 1997 م حلل فيه الحالة النسوية المعاصرة، والتغيرات الاجتماعية التي طالتها من داخل المنظومة الغربية وصور الأنماط الثلاثة التي مرت بهم المرأة في تاريخها، ليفضي إلى الأسباب التي صنعت منها وضعية اجتماعية لا متناسقة مع النظام والطبيعة[3].

[1] دينا مندور، ما الذي يدفع فيلسوف بحجم ليبوفتسكي للكتابة عن الموضة،26-05- 2016.
https://thaqafat.com/2016/05/31469

[2] البشير عصام المراكشي، مرجع سابق، ص،43.

[3] مركز باحثات لدراسة المرأة، "المرأة الثالثة لبيوفتسكي عرض ونقد"، 21-02-2018.
https://bahethat.com/article/r23702/?fbclid=IwAR1PxehP1R4FNJhOMEBkIq-x1aMJzDwgV9r2LcUpFjcGNJEoTXLlgNd0UPM

- **أزمنة الحداثة الفائقة Les Temps Hypermodernes** : كان قد نشره سنة 2004 م يعكس في هذا الكتاب رؤيته حول طغيان النزعة المادية على المجتمع الغربي المعاصر، وانهيار الغايات الكلية التي كانت الحداثة تسعى إلى تحقيقها نتيجة التضخم في الإنتاج، والاستهلاك، وعبادة النموذج الفردي[1].
- **الترف الخالد Le Luxe Énternel**: نشره عام 2003 م ركز فيه على إبراز مظاهر الإنسان الحداثي الذي أضحى يسعى نحو تحصيل أقصى درجات المتع المعيشية والرفاهية، وفي مقابل ذلك انسحاق تام للروح الإنسانية أمام النسق التحديثي الجديد وفي كتابه هذا مقاربة سوسيو تاريخية للترف وتحولاته، ومن جانب أخر سيمائيته التي تركز على الهوية وفي هذا يوجه النقد للحداثة وما اقترفته في الإنسان[2].
- **السعادة المتناقضة Le Bonheur Paradoxal** : كان سنة 2006 م تناول ليبوفتسكي في هذا الكتاب التحولات التي مست الرأسمالية بتزامن مع دخولها ما يعرف بعصر الاستهلاك المفرط ومجمل التغييرات المصاحبة لهاته التحولات التي عرفتها المجتمعات الغربية وكل المجتمعات الأخرى التي تنتهج الرأسمالية، فيضع ليبوفتسكي في هذا الكتاب مفارقة غريبة حيث أن مستويات الإنتاج والاستهلاك في هاته المرحلة بلغت تطورا غير مسبوق رغم هذا ما يلاحظ على الإنسان المعاصر أنه قد أصبح أكثر تعاسة مما كان عليه من قبل فقد شهد المجتمع الغربي انتشارا رهيبا للأمراض النفسية، فيخلص ليبوفتسكي في هذا الكتاب أن المؤشرات الاقتصادية تأخذ طابعا صنميا حل محل الميثولوجيا الدينية القديمة[3].

---

[1] نبيل سعو " الفلسفة الاجتماعية بين أزمة الإستهلاك الفائق والثورة الفردانية الثانية: جيل ليبوفتسكي أنموذجا "، الحكمة للدراسات الفلسفة 3أكتوبر 2022، ص760.

[2] جريدة الصباح، يومية عراقية،4436،15جانفي 2019، ص22.

[3] صحيفة الموقف، شهرية فلسطينية، دون عدد،10أكتوبر 2021، ص2.

- **شاشة العالم L'Écran Global** : تم نشره عام2007 م بالتشارك مع الفيلسوف جان سيرو Jean georges serroy [*](1941) يستعرضان في هذا الكتاب طغيان الإعلام المعاصر على مختلف مجالات الحياة بما في ذلك التلفزة أو الشاشة التي تأتي في المقدمة، فقد حولت الشاشة أنماط الحياة والمعيشة وعلاقتنا بنظم المعلومات من جهة وبهذا يصبح وجودنا مربوطا بالشاشة وموصولا بالشبكات على حد اعتباره، فالإعلام المعاصر أصبح بمثابة الأداة التفسيرية للعالم والتغير الجذري له[1].
- **ثقافة العالم:** نشره سنة 2008 م مع الفيلسوف جان سيرو (Jean georges serroy) قدم فيه أهم أفكاره حول الثقافة وتحليلاته الراهنية لها، طرح فكرة الثقافة العالمية أو كما أطلق عليها الثقافة التكنولوجية الرأسمالية، ذلك أن هاته الأخيرة استطاعت الاستحواذ والاستيلاء على الوجود الثقافي كونه الرأسمالية النظام الاقتصادي السائد في جميع المجتمعات وبهذا أصبحت أحد بواعث التحول الثقافي،[2] كما تعرضا في هذا الكتاب إلى حالة المجتمعات الحديثة التي قوامها السيولة والنسبية بدخول الرأسمالية عصر ما بعد الحداثة، العصر الذي كسرت فيه التكنولوجيا و وسائل الإعلام والاتصال كل الحواجز وبهذا تغير النموذج السابق للمجتمع ليصبح مجتمعا يعيش حالة من الفوضى والقلق[3].

[1] نريمان كوسة،" الاعلام المعاصر والصناعة الثقافية في عصر الحداثة الفائقة من منظور جيل ليبوفتسكي "، التدوين ،01، جويلية 2022، ص8.

***جان سيرو** : مدرس أدب فرنسي وأستاذ فخري بجامعة غرونوبل وناقد سينمائي معاصر ولد في 9نوفمبر 1941 شارك في العديد من الكتب من بينها كتاب مع جيل ليبوفتسكي.

[2] نسيمة ضيافات، مرجع سابق، ص43.

[3]Silva Pereira, «caracteristicas da era da cultura-mundo Segundo gilles Lipovetsky e jean serroy», Universidade Federal Do Acre, v2, 2021, p1

بالإضافة إلى هذه الكتب له مؤلفات أخرى منها "**تحول الثقافة الليبرالية** "سنة 2002م و"**خيبة أمل المجتمع** "**métamorphoses de la culture libérale** سنة 2006 م"، "**الغرب المعولم L'occident mondialisé** 2010م" ، "**تجميل العالم l'esthétisation du monde**2013 م" ، وأخرهم "**نحو حضارة للخفيف De la légèreté - Vers une civilisation du léger** 2015 م"، وعدد من المقالات والمساهمات والمقابلات الحية؛ بشكل عام أصبح اسم ليبوفتسكي مرتبط دوما بمجتمع ما بعد الحداثة، ونزعات الاستهلاك والعلامات التجارية والرأسمالية المتأخرة فكان لأعماله انتشار سريع على نطاق واسع خاصة في الأوساط الغربية فقد اكتسح اسم ليبوفتسكي ساحة علم الاجتماع الإسباني وأمريكا اللاتينية[1].

[1] نفس المرجع ص1.

المبحث الثاني: موقف جيل ليبوفتسكي من الحداثة وما بعد الحداثة

- المطلب الأول: الحداثة من وجهة نظر ليبوفتسكي
- المطلب الثاني: ما بعد الحداثة رؤية نقدية

المبحث الثاني: موقف جيل ليبوفتسكي من الحداثة وما بعد الحداثة

إن نقد الحداثة وما بعد الحداثة ليس بالأمر المستجد، فهو على كل حال دائم العرض والمسائلة، وإنما الجدة تكمن مع أزمة تطفو إلى السطح، والنقد الأخير قد استجد مع فلاسفة ما بعد الحداثة في نقدهم لسيولة وميوعة الحداثة وتحولها عن مقاصدها الأساسية التي كانت خلفها منذ البداية، وفي هذا الصدد يدعو الفيلسوف الفرنسي جيل ليبوفتسكي لضرورة النظر إلى النتائج التي أحدثتها الفكرة الحداثية اليوم في تقدمها.

ولن يتم ذلك إلا من خلال عرض مواقفه إزاء مرحلتي الحداثة وما بعد الحداثة فالسؤال الإشكالي المطروح: كيف نظر ليبوفتسكي للحداثة و ما بعد الحداثة؟ وهل يمكن اعتبار إحداهما استمرار للأخرى؟

المطلب الأول/ الحداثة من وجهة نظر ليبوفتسكي:

إن جيل ليبوفتسكي لا ينتمي إلى أي فلسفة تقليدية كانت، ويصب كل اهتمامه على مجتمعات ما بعد الحداثة والنزعات الاستهلاكية إذ تعبر فلسفته في هذا الصدد عن حقائق تنبع من الواقع، ضمنها في أعماله أبدى فيها رأيه وموقفه في الكثير من القضايا الفلسفية المعاصرة[1].

والحداثة وما بعد الحداثة أحد هاته القضايا التي أخذت صداها عند كثير من المفكرين والنقاد على اختلاف تنظيرهم، فجيل ليبوفتسكي كسابقيه من الحداثيين عبر عن موقفه اتجاه الحداثة وما بعد الحداثة في طرح نقدي، متجاوزا بذلك البناءات التقليدية للحداثة وما بعد الحداثة، لا يتفق ليبوفتسكي مع الكثير من الفلاسفة الذين أعلنوا في كتاباتهم عن موت الحداثة وبداية عهد جديد يعبر عنه بما بعد الحداثة، فهو في الأساس يرفض فكرة ما بعد الحداثة[2]

فإذا كانت ما بعد الحداثة في الاعتبار جاءت لتعلن عن نهاية المنظومة الحداثية، فقد أصبحت مجرد فكرة زائدة ومطنبه عن كونها إعلان لموت الحداثة من جهة، ومن جهة ثانية فالحداثة لم تنته بالنسبة لجيل ليبوفتسكي فهو يضع في الاقتراح إسما أخر لهاته المرحلة يتجاوز به ما بعد الحداثة، فقد كان المحرك الأساسي لقيام ما بعد الحداثة في الأصل ينبع من داخل الليبرالية المعاصرة التي تنزع إلى تحطيم كل الضوابط الأخلاقية، والدينية والإجتماعية، إذ عملت هذه الأخيرة إلى تحرير السوق ورفع القيود عنه مما أدى هذا النشاط الغير مقيد للأسواق إلى تفوق في مستويات الإنتاج والاستهلاك لتنتهي بتسللها إلى داخل مؤسسات الدولة والأسرة.[3]

---

[1] عزيزة زواغي، "مرجع سابق"، ص64

[2] .نفس المرجع" ،ص64.

[3] Gilles lipovetsky ,hypermodern times,troans,andrew brown (cambridge :polity,2005) ,pp,29-35,originally published as les temps hypermodernes(paris:grasset,2004).

بالإضافة إلى انتقاده لما بعد الحداثة ورفضها في إعلانها لنهاية الحداثة، يعتقد ليبوفتسكي بأن النقد الذي وجه للحداثة والذي يفيد بفشلها مكرر ومتشابه، في القول بالحرية والاستقلالية التي وعد بها عصر الأنوار، ساقت في الأخير إلى اغتراب كلي للإنسانية، فتعاب بذلك الحداثة في عجزها عن تحقيق التنوير، والتأسيس للحرية فيعد بهذا فشلها انحرافا عن غايات المشروع الحداثي تحوله إلى بيروقراطية استعبادية للكيان الإنساني، ويحدد بذلك موقفه اتجاه الحداثة ويذهب في هذا نفس ما ذهب إليه "يورغن هابراماس Jürgen Habermas 1929" في الاعتبار أنها مشروع لم يكتمل.[1]

وما يمكن فهمه من خلال موقفه الرافض لموت الحداثة، أن له وجهة نظر تحمل ضمنيا إعادة تشكيل للمشروع الحداثي بصورة جديدة مفارقة عن سابقتها، يقدم فيها الحداثة الفائقة بديلا عما بعد الحداثة وعلى النحو ذاته تكون إحياء لأسس الحداثة.[2]

المطلب الثاني /ما بعد الحداثة رؤية نقدية:

تصور ليبوفتسكي معنى أخر لما بعد الحداثة من منطلق أنها ظاهرة تحمل جانبين أو وجهين، إذ تتمظهر بشكل مغاير عن الحداثة فتتصارع داخلها الأضداد وتتعايش المتناقضات في توازن مريب ما يجعلها تتميز بنوعين من المنطق، منطق الاستقلال ومنطق الاتكال[3].

يعنى المنطق الأول بالحرية والاستقلالية التامة، في مقابل المنطق الأخر الذي يتعامل مع كل الأمور باعتمادية واتكالية مفرطة، فقد خلق على نحو ما أسلوب حياة مرضي يلوح لتعايش الأضداد عكس ما هو بديهي ومعروف بصراع الأضداد، هذا التطبيع في أساليب الحياة الاجتماعية والبناءات التقليدية يضمن تفوق مفهوم الذاتية المعاصرة التي اقتادت إلى

[1] عزيزة زواغي، "مرجع سابق"، ص65.
[2] "نفس المرجع"، ص65.
[3] "نفس المرجع"،ص 66.

سلوكيات تعكس قدرا كبيرا من اللامبالاة واللامسؤولية وفقدان تام للإرادة.[1] وفي سياق تشخيص لما بعد الكولونيالية في إفرازها للنزعة التفردية، يجدر القول بأنها قد أنتجت أفرادا عائمين في التناقضات، ففي إطار التوجه نحو التنصل من تبعية الحداثة وجملة القواعد العقلانية والكونية التي أسست لها رمى بالفرد المعاصر داخل دوامة البحث عن كينونته وسط مغريات وترف ما بعد الحداثة[2].

وقد باتت المظاهر المرضية لما بعد الحداثة والتناقضات التي طرحتها غائرة ومتفشية في الأوساط الاجتماعية الراهنة بشكل رهيب، فيعطى بذلك مثال ليبوفتسكي مثالا عن الهوس بالرشاقة أو ما يطلق عليه بمصطلح الأنوروكسي، بمجرد نزوع المجتمعات المعاصرة نحو التخلي عن بعض الفرائض الدينية والاجتماعية كالصوم وتلاشيها، نجد أن روح الاستقلالية تحل محلها لتطفو على السطح سلوكيات مرضية، فالهوس بالرشاقة والمثالية والعناية بالجسد قذف بالمرأة والأنوثة إلى عالم الدمى، إذ أصبحت تبذل قصارى جهدها للوصول إلى نموذج عارضات الأزياء لقوام متكامل، فالحركة النسوية في مرحلة ما بعد الحداثة تحتفي بجسد المرأة[3].

ويشهد هوس العناية بالجسد في عصر ما بعد الحداثة تقديسا وتأليها عظيما بالنسبة للمرأة والرجل على حد سواء، فهوس اللياقة والتمتع بجسد نحيف يعلن ميلاد اللايقين غير أن هذا الهوس لازال في صراع متواصل دون وصول لدرجة الكمال والصفاء النهائي[4].

[1] عزيزة زواغي ،"مرجع سابق :ص65.

[2] عفاف جدراوي "الإنسان المرتخي: قراءة في وضع إنسان الحداثة السائلة من منظور جيل ليبوفتسكي وزيغمونت باومان "، الحكمة للدراسات الفلسفية، 2ماي2022، ص2.

[3] عزيزة زواغي، "مرجع سابق "، ص66.

[4] عفاف جدراوي، "مرجع سابق"، ص6.

إن ظهور مثل هاته السلوكيات المرضية التي أنتجتها ثقافة ما بعد الحداثة كالهوس بالعناية بالجسد خلعت قدسية الإنسان، وجعلت الجسد ينتقل من حالة الغياب إلى الحضور ومن التحجب إلى التكشف ،وهذا في تقدير التحليل يذهب إلى أفول الروح ورفض تام للمفاهيم النفسية، وغدت بهذا كل أفكارنا وتصوراتنا المتعلقة بالحياة النفسية شبه وهمية، و هكذا أصبحت ما بعد الحداثة حسب ليبوفتسكي تروج لثقافة شخصنة الجسد التي تنبع من جوهر الذاتية المعاصرة ،فالإنسان حسب هذا التصور يتوجه نحو ذاته بشكل كبير فلا يلقي بالا لصوت غير صوتها،[1] وتفهم هنا ما بعد الحداثة على أنها تراجع في قوة المؤسسات الاجتماعية وتشخيص لها ما ترك المساحة للفرد للتعبير عن ذاته وشرحها أكثر، لكن في نفس الوقت وفرة المنتجات وكل أساليب الرفاهية والترف أوقعت في عدمية وفراغ كبيرين وقادت حداثة مفرطة.[2]

[1] عفاف جدراوي: "مرجع سابق"، ص7.

[2] عزيزة زواغي: "مرجع سابق"، ص67.

الفصل الثالث

المبحث الأول: الفـرديـة كـبَـاعـثٌ لـلـحـداثـة الـمـفـرطـة

- المطلب الأول: مـفـهـوم الـحـداثـة الـمفـرطـة.

- المطلب الثاني: مـفـهـوم الـفـرديـة.

المبحث الأول / الفردية كَباعثٌ للحداثة المفرطة:

إختلفت القراءات والمقاربات المطروحة حول توصيف حالة الأزمنة المعاصرة، إن كان الأمر اتجاه المصطلح أو إن كان متعلقاً بالوضعية التي آلت إليها، فقد تم تداول مصطلح ما بعد الحداثة كثيرًا منذ فترة السبعينات، ويرجع الفضل في انتشاره للفيلسوف الفرنسي جان فرانسوا ليوطار، فقد صاغ لأول مرة مصطلح ما بعد الحداثة معبرا به عن بداية مرحلة جديدة ونهاية المشروع الحداثي من خلال مؤلفه الشهير "الوضع ما بعد الحداثي"، واستمر هذا المصطلح قيد الاستخدام حتى التسعينات بتزاحم مصطلحات أخرى جديدة، مثل الحداثة المتقدمة الحداثة السائلة والحداثة الفائقة و كلها بشكل عام تعبر عن عدم قبول مرحلة ما بعد الحداثة ومحاولة الخروج من دائرتها.

لكن المصطلح الأخير قد انتشر بشكل واسع مع بداية الألفية الجديدة خاصة مع الفيلسوف الفرنسي جيل ليبوفتسكي، الذي وظفه في كثير من مؤلفاته للتعبير عن حالة الأزمنة المعاصرة وما أفرزته من نتائج، ومن هنا ينطوي السؤال الأساسي للبحث في: ماذا تعني الحداثة المفرطة عند ليبوفتسكي؟ وما النتائج التي طرحتها هاته الحداثة؟ وكيف كان تأثيرها.[1]

[1] ياسين كرام: "ما بعد الحداثة أم حداثة فائقة"، آفاق للبحوث والدراسات،2، (جويلية 2022)، ص579.

المطلب الأول/ مفهوم الحداثة المفرطة:

كانت البداية الحقيقية لمساءلة مصطلح ما بعد الحداثة والتفكير في مصطلح آخر بديل لها مع الفيلسوف شارل سيباستيان Sébastien Charles (1971) *، وجيل ليبوفتسكي في كتابهما المشترك "أزمنة الحداثة الفائقة"، وأشارا بذلك إلى أهمية طرح التساؤل حول دواعي التغيير والتفكير في المصطلح الواصف للأزمنة المعاصرة، إن كان هذا التغيير مجرد تلاعب لغوي أم هو عميق يتجذر داخل المنظومة الفكرية، فعبر هاته المساءلة حول دواعي هذا التغيير من جهة وقدرة ما بعد الحداثة كمصطلح على الوصف الشامل للأزمنة المعاصرة، فتظهر الحداثة الفائقة في هذا المقام بصورة يعتريها الغموض واللبس[1].

1 تاريخ المصطلح:

يعود أول توظيف واستخدام لمصطلح الحداثة الفائقة إلى فرقة بحثية أشرف عليها **Maxpages**، فقد أنجزت هاته الفرقة دراسة جماعية نشرت سنة1979م بعنوان: L`Emprise De L`Organization ،ثم تم استخدام المصطلح مرة أخرى سنة 2003 م في أعمال ملتقى كان مخصص لمظاهر الفرد في المجتمعات المعاصرة، بعد ذلك نشر محتوى هذا الملتقى ضمن كتاب جماعي حمل عنوان "**الفرد الحداثي الفائق**" في ماي 2004 م، بإشراف من نيكول أوبيرت، إلى سنة 2010 م أين نُشر كتاب آخر بعنوان" **المجتمع الحداثي الفائق**" كتكملة للكتاب الأول، وفي ذات السنة نشر ليبوفتسكي بالتشارك مع زميله الفيلسوف شارل سيباستيان كتاب

[1] ياسين كرام:" مرجع سابق"، ص 580.

* **شارل سيباستيان(1971) sébastien charles:** أستاذ فلسفة ومدير قسم الفلسفة والأخلاق لكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة شيربروك الكندية، مهتم بتاريخ الفلسفة وقد نشر العديد من الكتب والمقالات عن الفلاسفة الفرنسيين لأوائل من ديكارت إلى فوشيه بيركلي والتنوير الفرنسي، تاريخ الشك، ومن أبرز كتبه الفلسفة الفرنسية في السؤال وأزمنة الحداثة الفائقة بتشارك مع جيل ليبوفتسكي.

تحت عنوان "**أزمنة الحداثة الفائقة**" وصفَ فيه كل من سيباستيان وليبوفتسكي حالة النزوع للتخلي عما بعد الحداثة في مقابل الحداثة الفائقة ومجيء أزمنتها.[1]

كما كان قد نشر سيباستيان قبل هذا الكتاب المشترك بثلاث سنوات مقال له بعنوان" **مشروح الأطفال**" كمحاكاة للفيلسوف فرانسوا ليوطار في كتابه ما بعد الحداثي" مشروحة الأطفال"

وتبدو في هاته المحاكاة نوعا من محاولة التخلي عما بعد الحداثة وتجاوزها هي الأخرى بوضع مصطلح الحداثة الفائقة بديلا لها وكإعلان ضمني عن نهاية مرحلة ما بعد الحداثة وأزمنتها[2].

2) الحداثة المفرطة عند ليبوفتسكي:

عند تأمل دلالة مصطلح الفائق أو المفرط في الحداثة يتضح أنه يشير إلى حالة من التضخم والزيادة مما يعني هذا أنها استمرارية ومواصلة ولكن بشكل أكثر غزارة وسرعة، وهذا يحيل في معنى الحداثة المفرطة عند ليبوفتسكي أنها نموذج جديد عن الحداثة لكن يتخلل هذا النموذج بعض الاختلاف كالتضخم والازدياد والسرعة، وقد مس هذا التضخم جميع الأصعدة حسب ليبوفتسكي إلا أنه يعتبره أحد سلبيات الحداثة المفرطة ينزع إلى فرض منطق التناقض في الحداثة المفرطة[3].

ويقصد بهذا التضخم هو اكتساح التكنولوجيا والإعلام الحديث الأزمنة المعاصرة بالإضافة إلى تزايد في نسب الإنتاج والاستهلاك، فما يلاحظ على الأزمنة الراهنة رواج العقلية الاستهلاكية المفرطة والاهتمام المبالغ بالدعايات، والموضة، واقتناء السلع، ومحاولة تحقيق الحد الأقصى من المتع وسبل الراحة والترف دون مراعاة المعايير المعقولة للاستهلاك[4].

---

[1] نفس المرجع، ص 581.

[2] ياسين كرام" مرجع سابق"، ص581.

[3] ياسين كرام، "مرجع سابق"، ص583.

[4] آسيا عقوني:"تجاوز الأضداد في عصر الحداثة المفرطة: رؤية جيل ليبوفتسكي "، مجلة العلوم الاجتماعية، 26، (2018)، ص84.

ويؤرخ ليبوفتسكي لبداية مشكل الاستهلاك المفرط من سنة1970م، وتعد المرحلة الثالثة للرأسمالية الجديدة أو الاستهلاكية، شهدت هاته المرحلة من الرأسمالية نماذج مختلفة من الأنشطة الاقتصادية من بيع وإنتاج وتوزيع وغيره وأنماط مختلفة من العيش وأساليب الحياة التي تستهدف الإنسان الفرد بمعزل عن عائلته ومحيطه، فكل مؤشرات التطور التكنولوجي من

الهواتف المحمولة والحواسيب الخاصة والوفرة في الأجهزة الإلكترونية تفتح للفرد خيارات متعددة وتفسح المجال لأسلوب الحياة المستقل بعيدا عن المنشئ الأسري كما تسمح بتفوق الفردانية المعاصرة على حياة الفرد الحداثي الحالي[1].

3) الإغراء استراتيجية نحو الفراغ:

"يبرز المجتمع الاستهلاكي بوضوح عبر غزارة منتجاته وصوره وخدماته، والمُتعية التي تترتب عنه، والجو الحماسي من الرغبة والقرب مدى اتساع نطاق استراتيجية الإغراء، لكن لا يمكن حصر هذه الأخيرة في استعراض التراكم، بل تعني بشكل أكثر دقة تزايد الخيارات التي تُتيحها الوفرة، وحرية التصرف التي يتمتع بها الأفراد الغارقون في فضاء شفاف ومفتوح الذي يقدم مزيدا من الخيارات والتوليفات على المقاس"[2].

يحيل قول ليبوفتسكي هذا إلى انتشار منطق الإغراء من خلال توفير مختلف السلع والخدمات والانفلات كل القيود التي فرضها المجتمع من خلال نمط العيش الفردي فتوسع بذلك مجال اتخاذ القرار بعيدا عن كل مرجعية، فقد طرحت الرأسمالية الاستهلاكية ثقافة المتعة والترفيه والإشباع ووصلت مستويات الاستهلاك والإنتاج إلى أعلى مستوياتها في عصر الرأسمالية الجديدة.

---

[1] آسيا عقوني:" مرجع سابق"،ص85.

[2] جيل ليبوفتسكي: "عصر الفراغ الفردانية المعاصرة وتحولات ما بعد الحداثة" ، تر: حافظ إدوخراز، مركز نماء للبحوث والدراسات، ط1، لبنان،2018،ص20.

ويتجسد في هذا المنطق أيضا طغيان النزعة المادية إذ أصبحت قيمة الأشياء تعلو فوق العلاقات الاجتماعية للفرد وأكثر منها أهمية، فأصبح الإنسان غارقا في المتع المادية غير مبال بقداسة المؤسسات الدينية أو الاجتماعية، التي كانت تحظى بقدر من الأهمية فيما سبق

ورمي به إلى العدمية والفراغ اللذين أصبح أحد ميزات الفرد المعاصر، ويعود ذلك إلى تنوع وتعدد الخيارات التي أتاحتها الرأسمالية الاستهلاكية بتسليعها للحياة الاجتماعية وهذا الإشباع الرهيب للمتع والحاجيات النفسية للفرد.

ويعرف ليبوفتسكي مجتمع الحداثة الفائقة:" فالمجتمع الفائق الحداثة هو المجتمع الذي فيه القوى المعارضة للديمقراطية الحديثة، ذات النزعة الفردية والتاجرة، مُهيكلة؛ ومن ثم تجد نفسها أسيرة دوامة مغرقة في المبالغة، تصعيد للذروة في أكثر مجالات التكنولوجيا تنوعا والحياة الاقتصادية والاجتماعية بل الفردية، تكنولوجيات.. سمنة، إدمان، كل شيء يتضخم، كل شيء يصل إلى حده الأقصى ويصبح مثيرا للدوار"[1].

وهذا المجتمع فائق الحداثة قد تجاوز كل أشكال السلطوية والمركزية حسب ليبوفتسكي وتعالت فيه النزعات الفردية، كل الأشياء قابلة للتضخم والازدياد، فتوغلت فيه التكنولوجيا وعالم التقنية داخل الحياة الاجتماعية للإنسان، ولعل هذا التحول والتوجه نحو الإفراط في الاستهلاك ينم عن تراجع الهياكل التقليدية وتجاوزها والعودة إلى عبادة التطور الشخصي واللهو والعبث[2].

[1] جيل ليبوفتسكي وجان سيرو:" شاشة العالم وسائل إعلام وسينما في عصر الحداثة الفائقة"، تر: راوية صادق المركز القومي للترجمة، ط1، مصر،2012، ص52.

[2] نفس المرجع، ص52.

ويشير ليبوفتسكي في هذا المقام أن الحداثة المفرطة هي ثورة حداثية ثانية، واستمرار للحداثة الأولى ومنجزاتها لكن بمبادئ مختلفة عن الأولى، المحرك فيها هو السوق النزعة الفردية والتقنية[1].

هذه التسمية التي أطلقها أو عرف بها ليبوفتسكي الحداثة الفائقة تعبر عن حالة من النفاذ والاستحالة التي عرفتها أجهزة الحداثة بدخول العالم عصر الحداثة الفائقة، التي تتسم بكونها أكثر استقلالية وانفتاح عن التي قبلها، وبهذا تتبدى الحداثة الفائقة كونها نمط وجود تسيره وسائل الإعلام وتتحكم فيه، وهو أقرب للافتراضي أكثر منه للواقعي لأنه خارج عن المعهود[2].

المطلب الثاني/ مفهوم الفردانية:

إن مصطلح الفردانية أحد المصطلحات التي لا إجماع أو اتفاق على معنى واحد لها وقد كان في موسوعة لالاند الفلسفية تعريف لمصطلح الفردانية على أنها:" تعبير فلسفي عن نزعة في نظرية ترى أن الواجب استحسان أو تشجيع تطور الفرد، بوصفه طاقة إرادة وفعالية مفرطة تطرح نفسها أمام الآخر باستقلال فخور، وبذهنية صراع وكفاح ترفض دائما التنازل وتدَّعي الغلبة"[3].

ويغلب على هذا التعريف تصعيد للنزعة الفردية للإنسان والتطور الشخصي في مقابل أسلوب الحياة المشترك الذي غدى من معوقات الحداثة في الأزمنة المعاصرة، أما بالعودة لأصل المصطلح فيتبين أنه مشتق من كلمة فرد، والتي تعني ذلك الجزء الذي لا يتجزأ عكس الجماعة، وبذلك فالفردانية نزعة تعبر عن حالة من الاستقلالية والتحرر من كل القيود ومعايير الحياة التي تفرضها الهياكل المؤسساتية والروابط الاجتماعية، فيكون في هذه الحالة الفرد هو

[1] عزيزة زواغي ونادية بوجلال:" واقع الإنسان في عصر الفراغ والحداثة المفرطة جيل ليبوفتسكي أنموذجا "، دراسات إنسانية واجتماعية،2، (أفريل2022)،ص17.

[2] عزيزة زواغي ونادية بوجلا ل:"المرجع نفسه"، ص ص 17-16.

[3] اندري لالاند:" موسوعة لالاند الفلسفية"، تعريب: خليل أحمد خليل، منشورات العويدات، ط2، لبنان،2001،ص659.

سيد ذاته وقراره، ويتخذ الأسلوب العيش الذي يرتضيه لنفسه دون الرجوع إلى السلوكيات الاجتماعية المعتادة أو المتناقلة، وهكذا تبرز الفردانية كنسق أو نظام اجتماعي أكثر من كونها مجرد نظرية أو نزعة[1].

وفي هذا السياق ترمي الفردانية إلى تحصيل أكبر قدر من المصلحة الفردية وقد اقترنت في بدايتها بضرورة التفكير المنطقي والمستمر أثناء تحقيق هذه المصلحة، أي أنها كانت تخضع لرقابة وصرامة في نشأتها الأولى، لكن مع ارتباط الفردانية بسلوكيات اجتماعية سلبية كالعنف، مظاهر البؤس الإنساني، النرجسية وسطوتها على حياة الإنسان وإلى غيرها من السلوكيات الاجتماعية التي يستنكر لها التفكير المنطقي كل هاته السلوكيات و المظاهر كانت بمثابة تداعيات لتشكل عالم جديد طغت فيه الفردانية وأصبحت كنمط وجود وحياة، إذ يكون الإنسان الفرد على أكبر قدر من الحرية والتحرر من القواعد والنظم ويتسع فيه مجال المسؤولية الفردية، وهذا حسب ليبوفتسكي جوهر الحداثة المفرطة حيث أصبح الفرد أكثر انفتاحا وقابلية للتعرف على هوياتهم التي صنعتها الفردانية المعاصرة[2].

1) الفردانية الفائقة:

رسمت الفردانية الفائقة صورة العالم في عصر الحداثة الفائقة بالأخذ بعين الاعتبار أنها المحرك الأساسي لها وجوهرها على حد قول ليبوفتسكي، وبما أن الحداثة هي استمرار ومواصلة للحداثة الأولى فقد عملت الفردانية الفائقة على إفساح الطريق للأيديولوجيات الغربية التي قام عليها المشروع الحداثي منذ عصر الأنوار[3].

ومثلت الفردانية الفائقة نموذج عن التحول الاجتماعي التي عرفته الأزمنة المعاصرة في مقابل الصورة الجديدة للسوق الاقتصادي، ووضعت هاته الفردانية مجموعة من المبادئ قوامها التحرر من كل الضوابط التنظيمية التي عرفها الفرد سابقا، وفي هذا السياق يتابع

[1] عزيزة زواغي:"مرجع سابق "، ص73.

[2] عزيزة زواغي:"مرجع سابق" ، ص73.

[3] نسيمة ضيافات: "مرجع سابق"،ص112.

ليبوفتسكي تحليله للفردانية المعاصرة ونتائجها، ويشير في ذلك إلى انتفاء الغايات الكبرى لصالح الفردانية كدلالة لهذا العصر، فالفردانية المعاصرة في طرح ليبوفتسكي تُعنى بالمتع واللهو وتحطم المعتقدات السابقة الى الشعور بالاغتراب والفراغ اللذين أفرزا تحطم في المنظومة القيمية التقليدية بالتأكيد على الأساس التحرري التي نادت به الفردانية الجديدة.[1]

وفي ذات السياق يستحضر ليبوفتسكي في تحليله لمرحلة الفردانية الفائقة الجانب النفسي والاقتصادي من خلال ثورتين هامتين الثورة الجنسية، وثورة العتاد، في المجال الإقتصادي، فيوضح من خلال الثورة الجنسية تحول الفرد الفائق نحو تأليه الجسد والعناية المبالغة فيه كسمة يتميز بها الإنسان المعاصر، فرغبة الفرد الراهن في تحصيل أكبر قدر من المتعة واللذة والسعادة من خلال الاستهلاك المفرط يفسر عبادته للجسد وهوسه بالرشاقة والوزن والجسم المثالي، الذي تروج له عروض الأزياء وتقديس الشكل والمظهر إضافة الى التفرد بأحاسيسه وذاته ومراعاتها بإفراط، فهذا الإعلاء المبالغ فيه للأنا يعكس نوعا من الأنانية المفرطة للذات بصرف النظر عن الآخر ما أطلق عليه ليبوفتسكي الجيل النرجسي أو الفرد النرجسي الفائق وهو أحد رموز الانتقال من الفردانية المحدودة الى الفردانية الفائقة[2].

2) الفرد النرجسي الفائق:

قبل الحديث عن النرجسي الفائق يسبق ذلك مفهوم النرجسية الذي يقتضي التعريف به لبيان تأثيره في الفرد الحداثي الراهن، فقد أُدرج في موسوعة لالاند الفلسفية عن النرجسية أنه مسلك يحاكي نرسيس الذي كان مولعا بصورته الشخصية، عبادة الذات والإعجاب بالنفس وحب مفرط للباطن وفي هذا التعريف رجوع إلى الأساطير اليونانية وتتبع كرونولوجية المفهوم [3].

[1] نسيمة ضيافات: "مرجع سابق"، ص113.

[2] آسيا عقوني: "طبيعة السعادة عند جيل ليبوفتسكي"، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه، جامعة سطيف2 ،2019، ص ص 61-60.

[3] اندري لالاند:"موسوعة الفلسفية، م"R-z2 تر:خليل أحمد خليل ،منشورات العويدات،بيروت-باريس،ط2،2001، بيروت-باريس، ص1118.

أما عن المحلل النفسي سيغموند فرويد فقد وصفها بأنها حالة يعيش فيها الشخص حالة من حب الذات والأنا، وقد وضحها في مراحل تنتقل من الشهوة النابعة من الذات التي يطلق عليها إسم الليبيدو وهي المخزون الجنسي أو الشبقي التي تتلخص فيه غريزة الحياة إلى خارج الذات نحو شخصية خارجية، ويكون مفهوم النرجسية متعلقا بتكوين الأنا أو الواعي الذي يشكله الجسم، ويتضح في العصر الراهن مدى تأثير هذه النزعة المولدة للأنانية الإنسانية، وفي طرح ليبوفتسكي للفرد المعاصر يعطي أهمية للتحليل النفسي لظاهرة الفردانية أو ما اصطلح عليه الدعوة إلى الشخصنة وفي داخل هذا التحليل يفسر ويعالج ظاهرة النرجسية، ففكرة ليبوفتسكي حول النرجسية وولوجها عالم الفرد الحداثي تتمحور حول الدعوة إلى الشخصنة في اعتبارها صورة مصغرة عن الشخصنة ودليل على الممارسة الحرة للاختيار واتخاذ القرار والاستقلالية التي يتمتع بها دون الضوابط التقليدية والمراقبة الصارمة.[1]

ويعتبر ليبوفتسكي النرجسية مرحلة تعبر عن الفردانية الجديدة ونموذج حديث لوصف علاقة الفرد بنفسه، وجسده، وعالمه، في ظل غياب الرأسمالية الصارمة وطغيان الرأسمالية الاستهلاكية المُتعية، فالفردانية التي يحدث عنها ليبوفتسكي أزاحت سابقتها التي كانت تعيش تنافسا إقتصاديا وترابطا أسريا، عكس الفردانية اليوم التي تخضع سوى لأهواء ورغبات النفس، ومن خلالها يتجلى التزعزع القيمي في المجتمعات الغربية المعاصرة ونهاية الجماعة، ففي فقدان الحكم الجماعي والاعتبارات الدينية والاجتماعية قدسيتها وأهميتها تعاظم ما يسمى بثورة الجسد وشخصنته [2]كنتيجة لتأثير النرجسية وفي ذلك إعادة قيمة الجسد التي استنكرت ونبذت في السابق مع الفلسفات القديمة، من منطلق أنه مز على الدنس وتنوعت مظاهر العناية والاهتمام به من حميات غذائية ورياضة والمكياج والموضة، كما يبرز الشعور بالفراغ والفتور وتفاقم اللامبالاة كنتيجة أخرى للنرجسية، ففرد اليوم يعيش

[1] آسيا عقوني :"مرجع سابق"، ص ص 57-61.
[2] نفس المرجع ،ص62

لنفسه فقط ولا يولي أهمية لأي مرجعية كانت، وفي خضم هذا الفوضى العارمة والفراغ النفسي يبدو المستقبل على أنه غير آمن وواضح، فالنرجسية أصبحت تهدد الوجود الفعلي للإنسان فالتوجه المفرط نحو الاستهلاك والمتع الآنية قد ألغى ما يسمى بالهويات والأدوار الاجتماعية والاسترخاء واللامبالاة التي يعيشها الآن توحي بصفة المرضية والفراغ.[1]

[1] آسيا عقوني:"مرجع سابق" ،ص64.

المبحث الثاني: مظاهر الحداثة المفرطة.

- المطلب الأول: أزمة الدين والأخلاق.
- المطلب الثاني: الإستهلاك الجامح.
- المطلب الثالث: وسائل الإعلام.
- المطلب الرابع: المرأة الثالثة.

المبحث الثاني: مظاهر الحداثة المفرطة

إنتهينا في المبحث الأول إلى تحديد مفهوم الحداثة المفرطة بداية بأولى استخداماته قبل ليبوفتسكي إلى معناه عنده ومن ثمة إلى مفهوم الفردية الجديدة كمحرك أساسي للحداثة المفرطة وما ولدته من نتائج لنصل إلى القول أن الحداثة المفرطة أثارت أزمة داخل المنظومة القيمية للمجتمع الغربي المعاصر من خلال مآلاتها الانحطاطية والتحول والتفكك الذي عرفه الفرد المعاصر.

فالحداثة المفرطة عدة تمظهرات في الواقع كالتملص من الإلزام الأخلاقي وإهمال دور الدين في الحياة الاجتماعية إلى هيمنة الصورة والإعلام الحديث عالمه وبذلك بروز سلوكيات مستهجنة كالمبالغة في الاستهلاك والهوس بالجسد والمظهر وبلوغ الثورة النسوية ذروتها في هذا العصر ويتجلى ذلك في تحليل ليبوفتسكي من خلال ما أطلقه عليه ثورة المرأة الثالثة.

المطلب الأول/ أزمة الدين والأخلاق:

لم يعد الإنسان المعاصر حبيس التداول الغربي فقط بل تداخلت في تكوينه الحالي عدة ثقافات سلبت قيمه الفكرية والسلوكية، إذ أصبحت الفكرة الرحالة بين الثقافات تعكس صورة الإنسانية ووجوده وكذا النسق الأخلاقي لديه، ولم يتبقى من صورته الحقيقية إلا شكله الآدمي بينما يسكن داخله نمط اخر من الحياة يغيب فيه الماهية الحقيقة للإنسان، تلك الماهية ذات البعد الروحي التي أضاعها وتعد المثال الحقيقي عنه[1].

قد عرفت الحضارة الغربية على مر التاريخ ثلاث مراحل في تطورها، فكانت الأولى تعبر عن ميلاد الروح وموجهة لتحقيق الغايات السامية إلى مرحلة العقل التي عرفها مع المشروع الحداثي وعصر الأنوار، ازدهرت في تلك المرحلة العلوم والفنون ثم تأتي المرحلة الثالثة التي تستعيد فيها الغريزة سيطرتها على العقل والروح معا وبذلك يفقد المجتمع الفكرة الأساسية للمرحلة الأولى وهي الفكرة الدينية، فقد عرف المجتمع المعاصر تحلل الفكرة الدينية وهيمنة الغرائز الجسدية فمن سمات الفكرة الدينية تصويب التطلعات الفردية وتوجيهها نحو الجماعة، إلا أن المجتمع المعاصر سادته موجات الموضة والاهتمام بالشكل والجماليات في مرحلة الغريزة[2].

إن مساعي بلوغ السعادة وتفوق المتع والرغبات يرجح القول أن الحداثة الفائقة انكبت عن نزع القداسة عن الدين، فقد اختفت معالم الحداثة ومثلت اذن الحداثة الفائقة نهاية التأملات والتطلعات التي رسمها الفرد الحداثي في البدايات، فالإعلاء من قيمة العقل وتمجيده أوقع الحضارة الغربية في أزمة دينية وقيمية على حد سواء وبالنظر الى الحالة التي أصبحت عليها المجتمعات الغربية المعاصرة يتضح لنا قيامها على تصور خاطئ في علاقة الإنسان بالإله جراء أزمنة البؤس الفكري الذي يعايشه، والاعتقاد بأن العلاقة القائمة بين الإنسان والإله مجرد علاقة خارجية يغلب عليها القهر والتسلط أودت به الى الوقوع في مشكل الاتزان

[1] عبد الرزاق بلعقروز:" في أية مرحلة يعيش الإنسان المعاصر؟ وأية وجهة يقصد؟ "، الإصلاح،183، (اكتوبر2022)، ص16.

[2] عبد الرزاق بلعقروز:" نفس المرجع"،ص17.

بين ما يفرضه العصر الراهن و بين ماهو عقائدي ومتوارث لذلك كان من الضروري له أن يتخلى على مبادئه ويسلك طريق التحرر التي دعت إليه أزمنة الحداثة الفائقة، فالحد الذي بلغته نتائج الحداثة على الحضارة الغربية جعلت منه ينتقي بعض المثل الأخلاقية من الكتب المنزلة ويعرضها بسخرية، وفاصلا الإيمان عن الدين أخذًا بالزعم أن الإيمان وحده هو فقط الذي يزال صالحا في هذه الكتب.[1]

إن تجاوز المثل الأخلاقية والتملص من الواجب وغروبه في العصر الراهن يبشر بانهيار المثالات العليا التي كانت تحكم المجتمعات في ما مضى، والقول بدخول الإنسان عصر ما بعد الواجب وتنحي ثقافة الأخلاق يعلن عن ميلاد منطق ما بعد الأخلاقوية الذي تحدث عنه ليبوفتسكي في كتابه" أفول الواجب"، فوفق للدلالات والمؤشرات الراهنة يتضح أن المجتمع الديمقراطي حسب ليبوفتسكي يتجه نحو تأسيس أخلاق علمانية التي تضع الضوابط الاجتماعية يسير عليها الافراد، فبعد النجاح الذي عرفه الإنسان في التأسيس للواجب الأخلاقي في أزمنة الحداثة الأولى ووعود السعادة والحرية بمعزل عن كل ماهو ديني وغيبي هاهي الحداثة مجددا تمحي كل معالمه القديمة، فالواجب الأخلاقي الذي عرفه الإنسان سابقا يفترض أنه لاوجود للفضيلة بعيدا عن الوحي والفكرة الدينية[2].

اذ أنه واجب متعال مرهق للإنسان هذا ما اعترف به كل فلاسفة الحداثة فقد عرفت الاخلاق سابقا انها علم الواجب والفضيلة ورفض تام للذات في حضرة الواجب وفي هذا يقع الواجب ثقلا على الانسان ويلغي كل رغباته ويقمعها وفي هذا استنكار للوعود الحرية والسعادة التي بشر بها المشروع الحداثي[3].

غير أن الإلزام التي فرضته الحداثة هو نكران لذاته بشكل مباشر في سبيل انتفاء الشر واحلال القيم الأخلاقية فمنذ روسو حتى كانط والإنسان يستشعر فكرة الواجب الأخلاقي في

[1] نسيمة ضيافات: "دين الأزمة لاهوت الجمال عند جيل ليبوفتسكي"، الآداب والعلوم الإنسانية،01، (نوفمبر2020)، ص 186.

[2] نسيمة ضيافات: "نفس المرجع " ص 186.

[3]نسيمة ضبافات :"نفس المرجع " ص187.

غياب الذات والتنكر لرغباتها أي أن الواجب بالمفهوم الحداثي إلغاء لحرية الإنسان وسعادته لنيل الرضى والتعالي والرفعة التي يتسم بها تجعل مجبرا على أدائه في خضوع تام هذا ما خلف تحطما كاملا للذات الإنسانية.[1]

ولربما هذا التنكر والتغييب القهري للذات والخضوع للأداء الواجب الأخلاقي دون أدنى شروط أو مراعاة للرغبات الذاتية للفرد، أنتج ثقافة ما بعد الواجب وتجاوزا كاملا له وتمهيدا للعودة إلى الذات وإعطاء الذات الأولوية التامة ومعيارا لكل شيء، حيث تنطلق من نفسها وإلى نفسها لتحقيق وتحصيل السعادة بالمفهوم المعاصر، وانهيار القيم الأخلاقية السابقة دلالة على بزوغ واجب جديد تتصاعد فيه الحريات الفردية وتُعَظم الذات ورغباتها تناسبا مع مقتضيات الراهن لتصل به الى العدمية والزوال، هذا ما أطلق عليه باومان عصر السيولة الذي مُيعت فيه الأخلاق لتتماهى مع الرغبات والمتع الآنية وتحقيقا للذات والحاجات النفسية بعيدا عن فكرة التضحية التي وضعتها الفلسفات الأخلاقية السابقة، بعد أن كان يغيب الأنسان ذاته في سبيل أداء الواجب الأخلاقي والالتزام به[2].

أحدثت الحداثة الفائقة انتقالا كبيرا في مفهوم الواجب والإلزام ورُفع شعار الذات، وتم التخلي عن مقولة "يجب أن" ذلك بغية تحصيل السعادة اللامشروطة، وهذا الواجب الذي حل محل الفكرة الدينية والإلزام الأخلاقي، التي زعمت به تحقيق وعود السعادة، يقوم على حرية الاختيار بشكل أساسي بحيث يكون هذا الاختيار يتوافق والمصلحة الشخصية، وبهذا يكون معيار صلاح الفعل من فساده هو مدى قدرة هذا الفعل أو الاختيار على تحقيق أكبر قدر من المتعة والراحة والسعادة[3].

هذا الربط بين المتعة والسعادة ومعيار صلاح السلوك الأخلاقي يجعله أمام التغيير المستمر وفي صراع دائم للإنسان مع ذاته فالذات الإنسانية ذات أحوال متغيرة والمعايير

[1] مسعودة بن التومي:"عصر ما بعد الواجب وأزمة البديل الأخلاقي"، الباحث في العلوم الإنسانية ،02، (ماي 2021)، ص217.

[2] مسعودة بن التومي:" نفس المرجع"،ص218.

[3] مسعودة بن التومي:" نفس المرجع"، ص ص 219-220.

القيمية والشروط الأخلاقية هي من توجهها وتصوبها، وفي حال غياب الاهتمام بهاته القيم والمعايير الاجتماعية تصبح كل القيم مائعة وتنتفي فكرة اليقين وتتآكل في داخله مشاعر الفراغ والقلق النفسي والفكري، إن عصر الحداثة المفرطة هو عصر التحول عن الصرامة الأخلاقية والانفصال عن القيم، فقد تحول الفرد فيه من عابد لإله إلى عابد للمصلحة الشخصية والماديات بفعل العالم التجاري الذي بدد مضامين الأفراد وحولهم لمجرد أشكال[1].

يقول زيغمونت باومان* Zygmunt Bauman (1925)متحدثا عن مخاطر هذا الانفلات والتملص من القيود وعبادة الذات الفردية:" يُنظر إلى مجيء الحرية على أنه خلاص مبهج، سواء أكان خلاصا من التزامات مؤلمة أم قيودًا مزعجة أو روتينًا مكررًا أو مُحبطًا، بيد أنه بمجرد ما تتوطن الحرية وتصبح خبزنا اليومي، يبدأ رعب من نوع آخر، رعب المسؤولية الذي لا يقل رعبا بشعرة واحدة عن الرعب الذي طُرد بمجيء الحرية، بجعل ذكريات المعاناة في الماضي خفيفة بالمقارنة بالليالي التي تتلو أيام الروتين الإلزامي تمتلئ بأحلام التحرر من القيود[2]."

ولما كانت الأخلاق المسؤولة بالمفهوم المعاصر نابعة من الذات الفردية تعاظم الهاجس للفرد الحداثي الذي يتوجه نحو التخلص من أي إلزام اتجاه أي شيء، فالتحول الذي أحدثته الحداثة الفائقة أو السائلة على حد تعبير باومان في مفهوم الواجب الأخلاقي وتأسيسه على مبدأ الحرية والفردية، صار من غير الممكن التعبير عن نفسه إلا بصيغة مخففة، إذ تصارعت الأفكار داخله لتنقله إلى قلق مزمن وخواء مفزع، فقد أذابت الحداثة الفائقة الشعور بالإثم

[1] عزيزة زواغي ونادية بوجلال:" مرجع سابق" ص18.

[2] زيغمونت باومان:"الأخلاق في عصر الحداثة السائلة"،تر: سعد البازعي وبثينة الابراهيم، هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة، ط1، الإمارات،2016 ،ص72.

***زيغمونت باومان** Zygmu nt Bauman (19 نوفمبر 1925) هو عالم اجتماع پولندي. ويقيم في إنگلترة منذ 1971 بعد طرده من بولندا ضمن حملة مناهضة للسامية قادتها الحكومة الشيوعية. وهو أستاذ شرف لعلم الاجتماع في جامعة ليدز، باومان هو أحد أبرز المنظرين الاجتماعيين الذين يكتبون حول قضايا متنوعة مثل الحداثة والمحرقة، الاستهلاكية ما بعد الحداثة والحداثة السائلة.

والذنب في إصغائها لرغبات النفس ومعاداة الأخلاق الكلاسيكية وبذلك لا يترتب أي عقاب أو خوف من ماهو آت[1].

المطلب الثاني/ الإستهلاك الجامح:

في سياق تصاعد النظام الرأسمالي ودخول المجتمعات لمرحلة ما بعد الحداثة أو ما أطلق عليها ليبوفتسكي الحداثة الفائقة، ساد نمط الاستهلاك وإشباع المتع واللذات وانتقل الهدف من الوجود في هذه الحياة إلى الاستهلاك فقط، وأصبح المحرك الأساسي للذة عكس ما إذا أصبحت المنفعة هي التي تحرك الاستهلاك فلو كان كذلك لاكتفى الفرد بما يحتاجه فقط، ولمتعد الحاجة كما كانت عليه في السابق مصدر معاناة وقلق بالنسبة للأفراد بل شيئا يسعى إليه، وكان تعاظم الرأسمالية الاستهلاكية في عصر الحداثة الفائقة أحد علامات إغتراب الإنسان، فقد تطور التنافس الإقتصادي وأخذ شكلا جديدا يتمحور على التنافس بين المستهلكين على خلاف ما كان عليه في السابق بين المنتجين، وعرفت هذه الفترة ظهور الفورديزم أو تنميط السلع بشكل متضخم، فانتشر على مجال واسع استخدام بطاقات الائتمان وتعددت الأسواق العالمية محملة بمختلف الجنسيات وعابرة للقارات لتسهل حركة الاستهلاك ودخل على الأسواق العالمية ما يدعى بالإقتصاد الفقاعي، أو اقتصاد المضاربات التي تنفق فيه مبالغ مالية طائلة وتصل فيه تجارة الأموال إلى نحو ما يقدر 500 تريليون دولار وهذا ما يعني الإبتعاد وتنحي الإستثمار المالي عن الاستثمار الإقتصادي[2].

ويضيف ليبوفتسكي في كتابه الترف الخالد متحدثا عن التنافس الاقتصادي الجنوني بين المستهلكين: "بصفة عامة فإن المنتج الجديد يطرد الأخر، يجعله مهجورا وغير مناسب

[1] نفس المرجع، ص72.

[2] عبد الوهاب المسيري، دراسات معرفية في الحداثة الغربية، مكتبة الشروق الدولية، ط1، مصر،2007،ص107.

للموضة.....دورة الإطلاقات الجهنمية تتواصل، حتى وان كانت تشوش المستهلك وتساهم في تقوية عدم وفائه للمنتج وسرعة تقلبه[1]".

إستراتيجيات التضخم في الإنتاج والاستهلاك التي فرضتها الرأسمالية الاستهلاكية طرحت على السوق قواعد جديدة أساسها الإعلانات المرئية للسلع أو الماركات، فالتكاليف الناجمة عن العروض الترويجية تفسر دور الإعلانات التجارية في زيادة نسب البيع والاستهلاك، فلهذه العروض الترويجية أسلوب لإرضاء المستهلكين، تخلق لديهم اللهفة نحو الشراء والاقتناء وانتظار فرص الخصم على المنتجات التي تعلن عنها نقاط البيع للماركات العالمية[2].

ويتوافق ليبوفتسكي مع باومان في آلية التغيير السريعة والسيولة التي يتميز بها الفرد في عصر الحداثة الحالية، فالمجتمع الاستهلاكي مجتمع مسرف ومبذر وله قدرة كاملة على تفكيك كل القيم والمعايير الاجتماعية وإحلال بدلا منها صورة نموذج الحياة الاستهلاكية التي لا تعرف الحقائق الثابتة والكلية كل مايوجد فقط هو سيولة واستمرارية نحو المجهول، ومستويات الإنتاج الاستهلاك والإنتاج الخيالية في عصر الحداثة الحالية يبرز أن السلع هي محور الحياة، صار الفرد عابدا لها وانقلب الكوجيطو التي قامت عليه الحداثة من "أنا أفكر إذن أنا موجود" إلى "أنا أتسوق إذن أنا موجود"، فنزعات الوهم التي روجت لها الثقافة الاستهلاكية تظهر الواقع بغير ماهو موجود[3].

وفي ذات السياق يستكمل جان بودريار نقد المجتمع الاستهلاكي والنزعات الاستهلاكية التي غزت المجتمعات المعاصرة، وكانت في بادئ الأمر كنتيجة لارتفاع الدخل الفردي في

[1] جيل ليبوفتسكي واليت رو، "الترف الخالد من عصر المقدس الى زمن الماركات"، تر: شيماء مجدي، مركز نماء للبحوث والدراسات، ط1، لبنان،2018، ص108.

[2] جيل ليبوفتسكي واليت رو:" مصدر سابق"، ص 112.

[3] عفاف جدراوي: "الأخلاق كقيم استهلاكية عند زيغمونت باومان "، أفكار وآفاق، 01، (فيفري 2023)، ص ص91-92.

المجتمع الغربي، بعد أن سد الأفراد حاجياتهم الضرورية تحولت منها عملية الاستهلاك نحو الكماليات، وكان للهياكل الحكومية والشركات الكبرى الفضل في فتح المجال الاقتصاد الحرّ[1].

ويسلط الضوء في ذلك على الولايات المتحدة الأمريكية التي عرفت بالجموح نحو استهلاك الأغراض ووصف هذا الاستهلاك المفرط للأفراد على أنه نمط علاقات بين الجماعات والعالم بأكمله، ففي حين توافر كل شيء يقتني الإنسان ما يريد دون حدود ومن خلال هاته الوفرة التي تتيحها الأنظمة الرأسمالية الاستهلاكية يتوهم الفرد أنه قادر على امتلاك كل شيء ونتيجة لهاته الرفاهية والبذخ التي وصل إليها يصبح هو في حد ذاته كيانا مستهلك وفارغاً، فبقدر ما أسرف في الاستهلاك قد استهلك نفسه بذات القدر، ويذهب بودريار في تحليله للمجتمع الاستهلاكي إلى البحث عن المروج لفكر الغزارة والوفرة في المنتجات والسلع، ليعتبر أن الإعلان هو الإطار الجذاب للمجتمع الاستهلاكي وعبر هذا المستوى الذي وصل إليه الأفراد من الاستهلاك في العالم المعاصر اختفت وطرحت العديد من المفاهيم بدل أخرى، وحُصرت حياة الفرد في عصر الحداثة الحالية في مجرد عمليات تجارية واقتصادية وغُيب عنه حس التشارك الاجتماعي والعيش المشترك[2].

ومما تم طرحه نصل إلى تشخيص ليبوفتسكي لمخاطر توافر المنتجات وهيمنة ثقافة الاستهلاك التي تم الترويج لها عبر الإعلانات في كتابه عصر الفراغ يقول:" لقد أصبح الإغراء بتحرره من سجن البنية الفوقية والإيديولوجيا، العلاقة الاجتماعية المهيمنة، والمبدأ الذي يقوم عليه التنظيم الشامل لمجتمعات الوفرة، غير أن هذا الترويج للإغراء المستوعب في زمن الاستهلاك قد أظهر سريعا محدوديته، إذ أن عمل العرض هو تحويل الواقع إلى تمثيل مُحَرف،

[1] دحماني فتيحة وعبة رشيدة: "ثقافة الإستهلاك وأثرها على قيم الفرد من منظور جان بودريار "،الحكمة للدراسات الفلسفية،01،(جانفي 2022)،ص ص 336.

[2] دحماني فتيحة وعبة رشيدة:" مرجع سابق"، ص ص 337-338.

وتوسيع دائرة الاغتراب والحرمان.....إن نظرية العرض بسبب ارتهانها بالزمن الثوري الانضباطي استأنفت النسخة الأبدية للإغراء والاحتيال وتضليل الوعي واغترابه."[1]

ينتهي ليبوفتسكي من خلال ما أورده في كتابه عصر الفراغ للنتائج السلبية التي خلفتها مجتمعات الوفرة على المنظومة القيمية عبر ما سماه استراتيجية الإغراء أو نظرية العرض فتمثل الإعلانات التي من خلالها الترويج والتسويق للسلع وكما أوضح في قوله أن هاته الاستراتيجية سرعان ما أظهرت محدودية قدرتها وعجزها عن تمثيل الواقع، بل وأكثر من ذلك حرفت الحقائق، فإن الإعلانات التي تنقل لنا عبر شاشات التلفزة واللافتات الاشهارية في الشارع لتَمّتدح جودة منتج ما، ماهي في ذات الوقت إلا إبتعاد عن العالم الواقعي وفي نطاق الترويج للسلع عبر الإعلانات توسيع لدائرة الإغتراب وإنتشار للخداع، إذ ينجر وراء هاته الإعلانات الكثير من المجتمعات بلهفة ورغبة كبيرين لاقتناء تلك المنتوجات التي ستمنح لهم الحياة المثالية كما هي مصورة في الإعلانات.

إن فترتنا الحالية على حد تعبير ليبوفتسكي تشهد مرحلة جديدة عن الرأسمالية، حيث أصبحت فيها المرجعيات الأساسية للمجتمع تعود إلى المشتريات والسلع لتحقيق الرفاه والسعادة عبر الشراء والاستهلاك، وتبلورت عقلية الاستهلاك المُتعي تزامنا مع وولوج عالم التكنولوجيا والاتصال عالم الفرد فما يميز المجتمع المعاصر هو التدفق والحركة والابتعاد عن كل مقومات الحداثة الأولى وضعت المعايير والقيم هاته القيم التي تعم ‘زاحتها والتخلي عنها في ظل العولمة[2].

[1] جيل ليبوفتسكي:" عصر الفراغ"، مصدر سابق، ص20.

[2] عزيزة زواغي ونادية بوجلال: "مرجع سابق"، ص ص 21-22.

المطلب الثالث/ الإعلام المعاصر:

إن القول المعروف بتحول العالم إلى قرية صغيرة يحيل دوما إلى دور وسائل الإعلام في ترجمة الوقائع ونقلها وعصر التكنولوجيا وتأثيره في المجتمع الإنساني[1]، فما يحدث اليوم من أحداث سياسية واقتصادية تتجسد أمامنا وتنقل لنا عبر شاشات التلفاز والبث الإذاعي وكذا الإنترنيت، وبالحديث عن الإعلام المعاصر وصلته بالحداثة الفائقة اليوم يسعفنا القول بالدور الهام الذي لعبه في التبشير للفكر الحداثي الراهن، فالخطاب الإعلامي اليوم يشهد انفصالاً عن القيم وهي الميزة البارزة للأزمنة المعاصرة، والحداثة التي يتحدث عنها ليبوفتسكي أضحت ظاهرة تستدعي المسائلة وإعادة التفكير ذلك لما أفرزته من تشظي واغتراب تام عن المنظومة القيمية لعصر الأنوار، و الإعلام المعاصر بوصفه تجلي لقيم الحداثة الفائقة، أصبح أحد أهم المساهمين في تشكيل وعينا ومنظومتنا الفكرية والثقافية، فقد صور لنا الخريطة الرؤيوية للعالم من خلال تبثه القنوات من أخبار عن السياسة و الاقتصاد وشتى المجالات وباعتبار أنه من المؤسسات الكبرى الفاعلة في المجتمع تشمل التعليم الاسرة والدين والسياسة، والمسؤولة عن تشكيل هواياتنا الجنسية ومواقفنا الإنسانية اتجاه طائفة أو أقلية ما في العالم، فتغرس مبادئ وتقتلع أخرى وبالنظر الى الظاهرة الإعلامية في الوقت الحالي يتبين لنا التضخم الهائل في المعلومات والتظليل والتعتيم للمعنى، والواقع أن هاته الظاهرة قد اجتاحت حتى قناعاتنا الإيمانية وامتلكت القدرة على تغييرها والتحكم فيها فيصبح الإنسان فقط ما يراه، ومن دون شك فالتحليل النفسي يلعب دور في صناعة المحتوى وتحديد الفئة الموجه إليها هذا المحتوى[2].

يقول ليبوفتسكي متحدثا عن واقع تسلط الإعلام ووسائله من أفلام سينمائية وإعلانات تجارية:" المفاهيم الثلاثة التي نقترحها هنا الصورة ،تجاوز الصورة، إرسال متعدد ، الصورة، مسافة، تشير إلى العمليات التي تؤسس السينما الفائقة الحديثة وهي تملك قاسما مشتركا فهي تشيد سينما متحررة من المعايير القديمة، من الحواجز والعقبات، من الأعراف الجمالية والأخلاقية الماضية، المتشددة للغاية أحيانا(قانون هايز الخاص بالرقابة على الأفلام، الفتوى

[1] نصر الدين بن سراي: "قيم الاعلام والخطاب في زمن الحداثة الفائقة "،الرسالة للبحوث والدارسات الإنسانية،01،(مارس 2017)،ص 136.

[2] نصر الدين بن سراي :" مرجع سابق"، ص 138.

التي سنتها الكنيسة، الذوق السليم، الجنس) فما هي القيود وماهي القوانين الحتمية التي لا تزال موجودة؟"[1].

يشرح ليبوفتسكي من عبر هذا القول التحول التاريخي التي عرفته الصورة في العصر الحديث، فقد ظهرت مرحلة يمكن أن يطلق عليها حضارة الصورة، والصورة باعتبارها مجسدا للحقيقة الاجتماعية فيما سبق[2]، أصبحت تستخدم لإعادة تذويب الواقع معها بالفعل وتشكليه من خلال الأفلام السنيمائية التي كانت في السابق تخضع لرقابة سواء كانت رقابة صادرة عن الكنيسة أو صادرة عن نقابة الفنانين، إلا أن السينما المعاصرة اليوم قد إفتكت القيود التي فرضتها الرقابة على الأفلام السينمائية، ولنأخذ على سبيل المثال أشهر شبكات الأفلام شبكة نتفلكس(Netflex) التي تعرض محتوى جنسي غير محدود ودون أي رقابة ومحددات للفئات العمرية، فساهمت بشكل كبير في انتشار العديد من الأفكار كالشذوذ الجنسي والترويج له عبر الأفلام التي تعرض عبر تلك المنصة ومحاولة استباحته داخل الأوساط الاجتماعية والدينية كحق طبيعي، هذا يجعل الإعلام المعاصر اليوم أو كما أطلق عليه ليبوفتسكي الإعلام الفائق قد حل بديلا عن المؤسسات التربوية وهياكل التنشئة الاجتماعية.

ومن جهة أخرى يأخذ زيغمونت باومان نفس المسلك لجيل ليبوفتسكي في تحليله للظاهرة الإعلانية وتجلياتها، بالإضافة إلى قدرتها على التأثير على جمهور المستهلكين وزراعة الوهم عبر الإعلانات التجارية للمنتجات ومقدرتها الكاملة على معالجة المشكل إيجاد الحلول المناسبة، فيقول في كتاب الحب السائل:" ففي الغالب يلجأ الإعلان إلى إبراز جزء من المشكلة وكأنه يعالج المشكلة بأكملها فتتغذى المبيعات على إمدادات القلق التي تتجاوز مقدرة المنتج المعلن على علاجها"[3].

فالوهم الذي تغرسه الإعلانات التجارية من خلال المبيعات وتأثيرها على نفسية الإنسان ومدركاته وأخذها مسؤولية تكوين رؤيته للعالم، وضع يكون فيه الإنسان جاهدا في طلب الكمال والفضائل من القيم، القيم السفلى من العالم فيكون بهذا النموذج المعرفي الحاكم هو النموذج المادي، وفي خضم هذه الأزمة التي أحدثتها الحداثة الفائقة من انفصال عن

[1] جيل ليبوفتسكي وجان سيرو:" مصدرسابق"، ص73.

[2] نبيلة بوخبزة،" سلطة الصورة حسب ريجيس دوبري"، كلية علوم الاعلام والاتصال جامعة الجزائر-3-، دون عدد، (2007)، ص215.

[3] زيغمونت باومان،: "الحب السائل: عن هشاشة الروابط الإنسانية،" تر: حجاج أبو جبر، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط1، لبنان،2017، ص88.

منظومة القيم، يتضح تغييب الممارسة العقلية في مقابل منظومة التبسيط كما اصطلح عليها "إدغار موران"، ترتكز هذه المنظومة على تدمير الكليات وعزل موضوعاتها عن محيطها واذا قلنا تغييب الممارسة العقلية في ظل هيمنة الإعلام الفائق فإننا نقصد بشكل مباشر أيضا النظرة التهميشية التي يتلقاها النسق الأخلاقي وتوريث السلوك الاستهلاكي وطغيان الغرائز والشهوات التي تجعل من الإنسان رهين السلع والمنتجات[1].

واعتمادا على هذا الابتعاد عن العقل والانفصال عن منظومة القيم يتم الإنتاج الثقافي فيشمل الدين والنظرة الكلية للوجود، وكذا كل الأسئلة المتعلقة بالنهاية والموت، فيصبح بذلك التاريخ والمستقبل مفتوحا أمام الإنسان للتغيير.

المطلب الرابع /المرأة الثالثة:

لم تخلو تحليلات ليبوفتسكي من النقد للنتائج التي أفرزتها الحداثة الفائقة والتغييرات الاجتماعية التي أحدثتها موجات التحرر التي عقبت مجيئها، والمرأة إحدى هاته المؤسسات الاجتماعية التي طالها التغيير الاجتماعي، فمفهوم لم يعده هو نفسه في السابق أي في العصور القديمة مع اليونان والرومان، فيتحدث ليبوفتسكي عن تاريخ المرأة ويتصور المرأة الثالثة كما سماها هو كنسخة أخيرة للمرأة الأولى والثانية التي عرفها التاريخ، فيحلل المرأة الآن ويعقد المقارنة بينها وبين الثلاث نسخ التي عرفها التاريخ ليخلص أنه قد طرأ على شخصيتها الكثير من التغيير والتعديل في أزمنة الحداثة الفائقة.

تبدأ المقارنة التاريخية لشخصية المرأة من العصور القديمة مع الحضارة اليونانية والرومانية، فاقتصرت مهمة المرأة في العهد اليوناني في الركن المنعزل من الدار الذي يسمى بالحريم في تربية الأطفال ونسج الصوف وتمشيطه وحياكة الثياب لأسرتها مما أفسح المجال للرجل اليوناني من عيش حياة ثقافية وفكرية راقية، والتفرغ الذي تمتع به مكنه للإنتاج الفلسفي والأدبي، فقد احتفظ طيلة فترة الحضارة اليونانية في المرأة في المنزل كما لم تعرف

[1] د. الرزاق بلعقروز :" الحداثة الفائقة ومظاهر انفصال الاعلام المعاصر عن القيمة"، إسلامية المعرفة،81، (نوفمبر 2014)، ص ص 148-149.

حق المشاركة في الخطاب السياسي حالها حال العبيد في سوق النخاسة وقد خصصت كلاب الصيد كما يقول أرستوفان لحراسة النساء من العشاق من الرجال[1].

قد أسست الحضارة اليونانية للنسخة الأولى من المرأة التي ارتبطت بمهمة التناسل والإنجاب والتربية وأشغال الدار والانعزال في المنزل إلى نظرة تهميش وانتقاص من مكانتها في تساويها مع العبيد في السوق آنذاك[2].

أما النسخة الثانية من المرأة حسب ليبوفتسكي قدعرفت التكريم والتمجيد للدور الاجتماعي الذي تقوم به، فأصبحت تلقى محبة وتقديرا من الرجل وتحظى بأولوية فاقت

الرجل في المجتمع لكونها الأم وتشكل المستقبل واحتفى بها العديد من القادة والسياسيين الرومان أمثال أغريبا، ونوفاليس، وغيرهم، في اعتبارها مخلوق رباني وتصور مستقبل الرجل فعقب الاحتقار الشديد للمرأة فيما سبق برز التقديس لها ولمكانتها في المجتمع وأجمعت التوصيفات على امتداحها[3].

رغم هذا الاحتفاء بالمرأة والتقديس التي عرفته في هاته المرحلة من تاريخها لم تستطع إلغاء التراتبية الاجتماعية التي تضع الرجل في المقدمة وصاحب المرجعية في اتخاذ القرار وبقي هو الحال بالنسبة لدورها الذي تحتله في الحياة الاجتماعية، فلم تعرف المرأة أي فرصة للإفصاح والمشاركة بآرائها السياسية، وظل دورها يقتصر على العناية بزوجها وطاعته الذي يحرمها من استقلالها المادي والفكري، فالخطاب النسوي ذلك الوقت لم يجتز حيز المنزل، كَتَبَ "جوته" عن المرأة "أنها اليد التي تجرنا نحو العلى" نظيرا لسلطة التي تمتع بها على أطفالها، فعلى الرغم من الصورة الضعيفة لها إلا أن لها قدرة هائلة على التغيير اعتبارا لسطوتها التي تمارسها على الرجال المهمين في المجتمع[4].

بعد أن تحدد نموذج المرأة المكرسة لخدمة المنزل والأطفال والعناية بالأسرة، يليها النموذج الثاني الذي حظي بقدر من التكريم والتمجيد، إلا أن هاته النسخة لم تستطع تجاوز الأعراف الاجتماعية المتوارثة عن دور المرأة والمكانة التي تحتلها في المجتمع، كونها في

[1] إمام عبد الفتاح إمام: "أفلاطون والمرأة"، مؤسسة الأهرام للنشر والتوزيع، ط2، مصر،1997،ص18.

[2] المرجع نفسه ،ص18.

[3] جيل ليبوفتسكي:"المرأة الثالثة: ديمومة الأنثوي ووثورته، تر: دينا مندور، المركز القومي للترجمة، ط1، مصر،2012،ص232.

[4] جيل ليبوفتسكي:"المرأة الثالثة "ديمومة الأنثوي وثورته، ص 233.

إرتباط دائم مع الرجل ولم تستطع أن تحظى بإستقلالها عن سلطته، ليأتي نموذج ثالث من تاريخ المرأة في عصر الحداثة الفائقة هذا النموذج يتسم بالاستقلالية التامة بالنظر إلى الصورة الاجتماعية السابقة للمرأة في العصور القديمة التي ظلت تابعة للرجل في النسختين السابقتين ومثلت رغبته في كل شيء، غير أن هذا النوع من السلطة والتبعية لم يعد ذا أهمية في المجتمعات الغربية المعاصرة التي عرفت الديمقراطية، فتزعزعت الصورة الاجتماعية لعمل المرأة داخل منزلها فقط ومُنحت الشرعية للعمل في شتى الوظائف[1].

كما تحررت من قيود الزواج وحظيت بالحرية الجنسية وكذا حرية الإنجاب، مثلت كل هذا الظواهر تجليات تجاوز النساء السلطة الذكورية التقليدية والتمتع بالحرية التامة للتحكم بأنفسهم.

هذا النموذج من تاريخ المرأة حسب ليبوفتسكي الذي شكل قطيعة مع النسختين السابقتين للمرأة يجب الحذر منه والتنويه به، ويشير في هذا السياق إلى خطورة تلاشي الفوارق بين الجنسين فيما يخص التخصص الدراسي والعمل والوظيفة في ظل تنامي ثقافة تكرس للسيادة الفردية والتحرر، ويعطي مثالا لتحليله لوضعية المرأة في تنافسها مع الرجل في مجال العمل فيجسد نموذج المرأة الثالثة تصاعد الحرية والمساواة ،وفي الوقت ذاته استمرارية لعدم المساواة زعما منه أن المرأة رغم اكتسابها للاستقلال المادي والشرعية في العمل والتوظيف في جميع المجالات يبقى الفرق واضحا وجليا بين العمل الذكوري والعمل النسائي حتى ولو منحت النساء الشرعية في العمل تبقى مختلفة، ففي بعض الأحيان عندما يدخل عمل الزوجة في منافسة مع عمل الزوج يتعين عليها ترك العمل، ذلك راجع لقلة استعدادها المهني نتيجة تحملها أعباء العائلة، وفي الغالب تعمل النساء في أماكن قرب بيوتهن عكس أزواجهن، كل هذا يشير من منظور ليبوفتسكي إلى عدم القدرة على إزالة أشكال التحفظ والتردد اتجاه عمل المرأة[2].

[1] جيل ليبوفتسكي:" المصدر نفسه"، ص ص 233-240.

[2] جيل ليبوفتسكي، "مصدر سابق"، ص ص 240-246.

يضيف في ذات السياق عن الواقع السياسي الراهن في ظل السلطة الأنثوية، ويقول أن الحداثيون قد اعترفوا بالهيمنة الأنثوية في المجال السياسي، ويتجسد ذلك في تقديره للتأثير التي تعكسه الجميلات على عشاقهن والسلطة الأمومية على الأبناء، وفي خضم الدعوة للندية بين بين الجنسين في الجمعيات السياسية والارتقاء بالهرمية التراتبية للأدوار بين الرجل والمرأة وتعدد المطبوعات والمنشورات التي تشيد بنجاح النسوي يطرح التساؤل هل يتوجه الواقع السياسي نحو تأنيث السلطة[1].

بالرغم من تخلي المرأة عن تبعيتها للرجل والإعلان عن استقلالها من الهيمنة الذكورية السابقة، وتمتعها بحرية التحكم في نفسها من خلال إلغاء الفصل والتباين بين الجنسين، إلا أن هذا يستطع أن يمحو التشابه والتجاذب بين الجنسين يقول ليبوفتسكي: "يتعين أن نقر بأن الجنسين يجدان نفسيهما في تشابه بنيوي فيما يتعلق ببناء الذات، في الوقت الذي حل فيه الممكن محل الفرض الاجتماعي(....)لإعادة تشكيل الفجوة اللامتماثلة بين أوضاع النساء والرجال(...) تساوي ظروف الجنسين في ظل ثقافة تكرس لكليهما سيادة حكم الذات والفردية السياسية والتي تتحكم في الذات وفي مستقبلها، دون نموذج جماعي موجه"[2].

[1] جيل ليبوفتسكي: "مصدر سابق"، ص ص 226- 248.

[2] زواغي عزيزة: "مرجع سابق"، ص84.

خاتمة

خاتمـة:

سعت الحداثة في نشأتها الأولى إلى محاولة تخليص الإنسان من القيود التي كبلته بها الكنيسة في العصر الوسيط، لتفتتح بذلك عصرا جديدا ترفع فيه مبادئ العقل والحرية، وقد كان الإصلاح الديني مع الألماني مارتن لوثر أولى الخطوات الممهدة لقيام المشروع الحداثي عبر إزالة فكرة الوساطة الدينية ويحال في ذلك النص المقدس إلى القراءة الحرة، وفي هذا لعب الإصلاح في هاته المرحلة دورا هاما كونه خطوة فعلية نحو الخلاص الإنساني، أعقبت حركة الإصلاح الديني العديد من الأحداث كالثورة العلمية مع علماء أمثال كوبرنيكوس، كبلر، غاليلو ثم أخيرا الثورة الفرنسية، التي بزغ فيها عصر التنوير وإكتملت من خلاله الصورة النهائية للمشروع الحداثي الذي يرسخ للقطيعة مع الغائية الدينية، ويؤكد على الممارسة العقلية فيعود التفكير الشخصي بذلك إلى الفرد بمنأى عن أي وساطة خارجية.

وفي إطار تحطيم قيم العصور الوسطى ومحاولة بعث قيم جديدة أكثر إنفتاحا على الحياة الإنسانية، انتهى المشروع الحداثي إلى خلق منظومة قيمية من ذات القيم السابقة التي زعم بتجاوزها وتحطيمها، وإستحضار هاته القيم مجددا إعلان صريح عن فشل الحداثة في تحقيق وعودها بالسعادة والرخاء وتحول عن مبادئها التي قامت عليها، فالحداثة قد أعادت للخطابات الشمولية والمغلقة فعاليتها من جديد، هذا ما إنتقده مفكرو ما بعد الحداثة خاصة الفرنسي فرانسوا ليوطار، من خلال موقفه المشكك في موثوقية إدعاءات الحداثة الكبرى كالعقل والحرية حيث أطلق عليها مصطلح السرديات الكبرى، أي أن إدعاءات الحداثة لا تعدوا كونها مجرد حكايات إنتهى زمانها، وموقفه المشكك هذا إقرار بتجاوز الحداثة ومجيء أزمنة ما بعد الحداثة كبديل لها.

وعكس قيم الحداثة تأتي ما بعد الحداثة لتقويض المركزيات الغربية الكبرى، والتأسيس للإختلاف عبر صناعة المفاهيم، رغم ذلك ما بعد الحداثة هي الأخرى لم تستطع تجاوز

النموذج الأول للحداثة وتحقيق وعود السعادة التي سعى إليها المشروع الحداثي في نشأته، فقد لوحظ على هته المرحلة تضخم كبير وإرتفاع رهيب في مستويات الإنتاج والإستهلاك وتوغلت التكنولوجيا داخل حياة الفرد، وبرزت بذلك النزعات الشكلانية التي يروج لها الإعلام المعاصر هذا ما إصطلح عليه الفيسلوف الفرنسي وعالم الإجتماع جيل ليبوفتسكي إسم الحداثة المفرطة كتوصيف لحالة الأزمنة المعاصرة، حلل فيها المظاهر الإجتماعية التي أفرزتها الحداثة المفرطة، ويمكن أن نلخص النتائج التي توصل إليها ليبوفتسكي في تحليله لمظاهر الحداثة في نقاط كالأتي:

- تمزق القيم وعبادة المصلحة الشخصية.
- تحلل الفكرة الدينية وإنهيار سلطة المؤسسات الإجتماعية والدينية.
- تحكم الظاهرة الإعلامية في حياة الإنسان المعاصر وتوجيهه نحو التشئ والإغتراب.
- سيطرة النزاعات المادية وتسليع الحياة الإجتماعية.
- تفوق الفردانية والتنصل من الإلتزامات والمسؤوليات.
- الجموح نحو الاستهلاك، وهوس إشباع المتع واللذات.
- ظهور نموذج جديد من المرأة، وتجاوز السلطة الذكورية.
- الحرية الجنسية المرضية، وتلاشي الروابط الأسرية.
- النزعات الشكلانية وهوس العناية الجسدية.

ليخلص في الأخير أن منظومة القيم قد إنحرفت عن مسارها الأول، ودخلت مرحلة اللايقين والنسبية، فلم تعد القيم تشكل مرجعا صلبا ينطلق منه في تكوين رؤية ثابتة عن الوجود، وفي طرحه لمظاهر التحول الاجتماعي مسائلة نقدية لنتائج التي أفرزتها الحداثة المفرطة وتأثيرها على منظومة القيم ويمكن اعتبار تحليل ليبوفتسكي هذا لا يعدوا كونه مجرد نقد وتشخيص للأزمة دون تقديم حلول أو بدائل، فالحديث عن الجموح نحو الاستهلاك محظ إشارة للمعضلة دون اقتراح علاج للحد من تفاقمها.

قائمة المصادر

والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

1) المصادر باللغة العربية:

1 جيل ليبوفتسكي و إليت راو، "الترف الخالد من عصر المقدس الى زمن الماركات"، تر: شيماء مجدي، مركز نماء للبحوث والدراسات، ط1، لبنان،2018.

2 جيل ليبوفتسكي وجان سيرو:" شاشة العالم وسائل إعلام وسينما في عصر الحداثة الفائقة"، تر: راوية صادق المركز القومي للترجمة، ط1، مصر،2012.

3 جيل ليبوفتسكي: "عصر الفراغ الفردانية المعاصرة وتحولات ما بعد الحداثة"، تر: حافظ إدوخراز، مركز نماء للبحوث والدراسات، ط1، لبنان،2018.

4 جيل ليبوفتسكي:"المرأة الثالثة: ديمومة الأنثوي وثورته، تر: دينا مندور، المركز القومي للترجمة، ط1، مصر،2012.

2) المصادر باللغة الأجنبية:

1. Gilles lipovetsky ,hypermodern times,trans,andrew brown (cambridge :polity,2005) ,originally published as les temps hypermodernes(paris:grasset,2004).

3) كتب مترجمة:

1 ألان تورين:" نقد الحداثة، تر: أنور مغيث، المجلس الأعلى لثقافة، مصر،1997.

2 برتراند راسل:"الدين والعلم، تر: رمسيس عوض، دار الهلال.

3 جان فرانسوا ليوطار" الوضع ما بعد الحداثي"، تر: أحمد حسان، دار شرقيات للنشر والتوزيع، ط1، مصر ،1994.

4 جان فرانسوا ليوطار" الوضع ما بعد الحداثي"، تر: أحمد حسان، دار شرقيات للنشر والتوزيع، ط1، مصر ،1994.

5 زيغمونت باومان:"الأخلاق في عصر الحداثة السائلة"،تر: سعد البازعي وبثينة الإبراهيم،هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة،ط1،الإمارات،2016.

6 زيغمونت باومان: "الحب السائل: عن هشاشة الروابط الإنسانية،" تر: حجاج أبو جبر، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط1، لبنان،2017.

7 كريستوفر باتلر: " ما بعد الحداثة"، تر: نيفين عبد الرؤوف، هنداوي للتعليم والثقافة، ط1، مصر ،2016.

8 هارفي سي مانسفيلد، "توكفيل"، تر: مصطفى محمد فؤاد، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ط1، مصر،2015.

4) كتب عربية:

1 إمام عبد الفتاح إمام: "أفلاطون والمرأة"، مؤسسة الأهرام للنشر والتوزيع، ط2، مصر،1997.

2 عبد الوهاب المسيري، دراسات معرفية في الحداثة الغربية، مكتبة الشروق الدولية ط1، مصر،2007.

3 محمد الشيخ: "مقاربات في الحداثة وما بعد الحداثة"، دار الطليعة للطباعة والنشر، لبنان، ط1، 1996.

4 محمد نور الدين أفاية: " الحداثة والتواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة"، أفريقيا الشرق، ط2، لبنان،1998.

5 صدر الدين القبانجي: " الأسس الفلسفية للحداثة"، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، لبنان ،2010.

5) المجلات والدوريات:

1 آسيا عقوني:"تجاوز الأضداد في عصر الحداثة المفرطة: رؤية جيل ليبوفتسكي "، مجلة العلوم الاجتماعية، 26، (2018).

2 إيناس كريبش :"الأساس الأنطولوجي لهرمينوطيقا الوجود عند مارتن هايدغر "، العدد الأول، (جانفي 2022).

3 البشير عصام المراكشي "جيل ليبوفتسكي "، مجلة أوج، العدد 5، (2018).

4 جميل حمداوي: "استغراب ما بعد الغرب فلسفة التفكيك كنموذج "، الاستغراب، عدد 17،(2019).

5 حموم لخضر: "لسنيما وصورة الفكر لدى جيل دولوز"، الحوار الثقافي، العدد الأول، (سبتمبر 2019).

6 حنان حطاب:" التفكيك نحو التأسيس للمختلف "، مجلة العلوم الاجتماعية، عدد27، أفريل (2018).

7 خالدي مزاتي: "إشكالية ما بعد الحداثة في الفلسفة الغربية المعاصرة: جان فرانسوا ليوتار ويورغن هابراماس أنموذجان " جسور المعرفة، العدد الرابع (ديسمبر 2020).

8 داود بن خليفة : الثورة الكوسمولوجية في العصر الحديث "، دون عدد، دون سنة.

9 دحماني فتيحة وعبة رشيدة: "ثقافة الإستهلاك وأثرها على قيم الفرد من منظور جان بودريار "، الحكمة للدراسات الفلسفية،01،(جانفي 2022).

10 سعد بوترعة: "الحداثة مفهوم وظهور الدعوة لها في الفكر العربي المعاصر"، المدونة، العدد الأول، (جوان 2018).

11 سفيان البراق: "ملامح الحداثة الأوروبية: الإصلاح الديني والاكتشافات العلمية كنموذجين، "عدد3، (سبتمبر 2022).

12شاكر مخلوف: "ميشيل فوكو والحداثة الفلسفية "، مجلة العلوم الإنسانية والإجتماعية، عدد10، (جوان 2016).

13صورية عمران: "المشروع التطبيقي لفلسفة جديدة جيل دولوز أنموذجا "، سلسة الأنوار، العدد الأول، (ماي 2018).

14عبد الباري محمد مادي: "أبعاد الصورة ودلالتها الفلسفية "، علمية الحكمة، العدد 345.

15عبد الرزاق بلعقروز:" الحداثة الفائقة ومظاهر انفصال الاعلام المعاصر عن القيمة"، إسلامية المعرفة،81، (نوفمبر 2014).

16عبد الرزاق بلعقروز:" في أية مرحلة يعيش الإنسان المعاصر؟ وأية وجهة يقصد؟ "، الإصلاح،183، (اكتوبر2022).

17عزيزة زواغي ونادية بوجلال: "واقع الإنسان في عصر الفراغ والحداثة المفرطة جيل ليبوفتسكي أنموذجا "، دراسات إنسانية واجتماعية،2،(أفريل2022).

18عفاف جدراوي "الإنسان المرتخي: قراءة في وضع إنسان الحداثة السائلة من منظور جيل ليبوفتسكي وزيغمونت باومان "، الحكمة للدراسات الفلسفية، 2ماي2022.

19عفاف جدراوي: "الأخلاق كقيم استهلاكية عند زيغمونت باومان "، أفكار وآفاق، (01فيفري 2023).

20علي وطفة: "مقاربات في مفهومي الحداثة وما بعد الحداثة "، مجلة فكر ونقد، العدد43، (نوفمبر 2001).

21عوض بلقاسم علي يونس:" دور فلاسفة التنوير في قيام الثورة الفرنسية" العدد17، (2017).

22كرمين فتيحة: "جمالية الصورة وصيرورة الاختلاف في فكر جيل دولوز"، تنوير للدراسات الأدبية والإنسانية، العدد الأول، (جوان2021).

23لشخب سمية: "الأدب التفاعلي وفلسفات ما بعد الحداثة قراءة في المرجعيات "، مجلة الأداب والعلوم الإنسانية، العدد14، (ديسمبر2014).

24مسعودة بن التومي: "عصر ما بعد الواجب وأزمة البديل الأخلاقي"، الباحث في العلوم الإنسانية ،02، (ماي 2021).

25معرف مصطفى: "أزمة الحداثة عند يورغن هابراماس: من التشخيص إلى التجاوز "، الحكمة للدراسات الفلسفية، العدد الثاني، (أكتوبر2021).

26نادية بوحاريش: "ما بعد الحداثة: الدليل المعرفي الجديد "، مجلة المدونة، العدد الاول، (مارس2021).

27نبيل سعو " الفلسفة الاجتماعية بين أزمة الإستهلاك الفائق والثورة الفردانية الثانية: جيل ليبوفتسكي أنموذجا "، الحكمة للدراسات الفلسفية (3أكتوبر2022).

28نبيلة بوخبزة: " سلطة الصورة حسب ريجيس دوبري"، كلية علوم الاعلام والإتصال جامعة الجزائر3، دون عدد، (2007).

29نريمان كوسة: "الاعلام المعاصر والصناعة الثقافية في عصر الحداثة الفائقة من منظور جيل ليبوفتسكي "، التدوين ،(01 جويلية 2022).

30نسيمة ضيافات: "دين الأزمة لاهوت الجمال عند جيل ليبوفتسكي"، الآداب والعلوم الإنسانية،01، (نوفمبر2020).

31نصر الدين بن سراي: "قيم الاعلام والخطاب في زمن الحداثة الفائقة "، الرسالة للبحوث والدارسات الإنسانية،01،(مارس 2017).

32ياسين كرام: "ما بعد الحداثة أم حداثة فائقة"، آفاق للبحوث والدراسات،2، (جويلية 2022).

6) المقالات العلمية باللغة الأجنبية:

1 Quintero, Raul Corral. Gilles Lipovetsky : Una sociologia del presente pos (hiper) moderno.Universidad Autonoma Metropolitana Mexico 2007.

2 TAMES, Enrique(2007).Lipovetsky: Del vacio a la hipermodernidad,Casa del tiempo,vol 1,epeca.

3 Silva Pereira, «caracteristicas da era da cultura-mundo Segundo gilles Lipovetsky e jean serroy», Universidade Federal Do Acre, v2, 2021.

7) الصحف والجرائد:

1 جريدة الصباح، يومية عراقية،4436،15جانفي 2019.

2 صحيفة الموقف، شهرية فلسطينية، دون عدد،10أكتوبر 2021.

8) القواميس والمعاجم:

1 شوقي ضيف واخرون: "المعجم الوسيط"، مكتبة الشروق الدولية، ط4، مصر،2004.

2 إبن منظور: " لسان العرب"، دار المعارف، ط1، مصر.

3 ر.بودون وف.بوريكو: "المعجم النقدي لعلم الاجتماع"، تر: سليم حداد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، مصر،1986.

9) الموسوعات:

1 أندري لالاند:" موسوعة لالاند الفلسفية"، تعريب: خليل أحمد خليل، منشورات العويدات،ط2،لبنان،2001.

10) الرسائل الأكاديمية:

1 آسيا عقوني: "طبيعة السعادة عند جيل ليبوفتسكي"،(أطروحة لنيل شهادة دكتوراه)، جامعة سطيف2 ،2019.

2 جمال درويش:"الدولة والمجتمع في مرحلة ما بعد الحداثة" (رسالة ماجستير)، جامعة الجزائر، 2008.

3 عزيزة زواغي، "الحداثة المفرطة عند جيل ليبوفتسكي"، (مذكرة لنيل شهادة الماجستير)، جامعة الجزائر2 ،2017.

4 نسيمة ضيافات،"نقد التحول الثقافي عند جيل ليبوفتسكي"، (مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه)، جامعة سطيف3 ، 2022.

11) الرسائل الأكاديمية باللغة الأجنبية:

1. Sylvie Vendette, « Le concept de narcissisme dans la psychanalyse freudienne : problèmes d'applications dans la sociologie de Christopher lasch et gilles Lipovetsky », Université Du Québec A Montréal, 2009

12) المواقع الإلكترونية:

1 دينا مندور، ما الذي يدفع فيلسوف بحجم ليبوفتسكي للكتابة عن الموضة،26-05-2016. https://thaqafat.com/2016/05/31469 .

2 مركز باحثات لدراسة المرأة، "المرأة الثالثة لبيوفتسكي عرض ونقد"، 21-02-2018. https://bahethat.com/article/r23702 .

الملخص:

عنيت هذه الدراسة بتسليط الضوء على مجمل التحولات الإجتماعية، التي طالت المنظومة القيمية في مرحلة الحداثة المفرطة، إستنادا إلى تحليلات الفيلسوف الفرنسي جيل ليبوفتسكي لمجتمعات ما بعد الحداثة ومسائلة النتائج التي طرحتها الحداثة المفرطة، كالتأكيد على قيمة تكنولوجيا الجديدة وقدرتها على تحقيق السعادة، وتوفير كل سبل الترف والرفاه في مقابل فقدان الهياكل والمؤسسات الإجتماعية والدينية شرعيتها وقد طرحت هذه الدراسة مجموعة من التساؤلات تمحورتها جلها حول ما يتعلق بأزمة الدين والأخلاق والدور الذي لعبته وسائل الإعلام في تصوير الحقيقة إضافة إلى التضخم في نسب الإنتاج والإستهلاك.

الكلمات المفتاحية : الحداثة، ما بعد الحداثة، الحداثة الفائقة، المنظومة القيمية.

Abstract :This study was meant to light on the overall social transformations that affected the value system in the period of hyper-modernity based on the annalyzes of the frensh philosopher gilles lipovertsky of hyper-post-modern sosieties, such as emphasizing the value of new technology and provide all means of luxury and well-being in exchenge for the loss of social and religious structures and institutions. Its legitimancy this study raised a set of questions, most of which revolved around what is related to the crisis of religion and morals, and the role played by the media in portraying the truth, in addition to inflation in the rates of production and consumption.

Keywords : modernity, post- modernity, hyper-modernnity, value system.